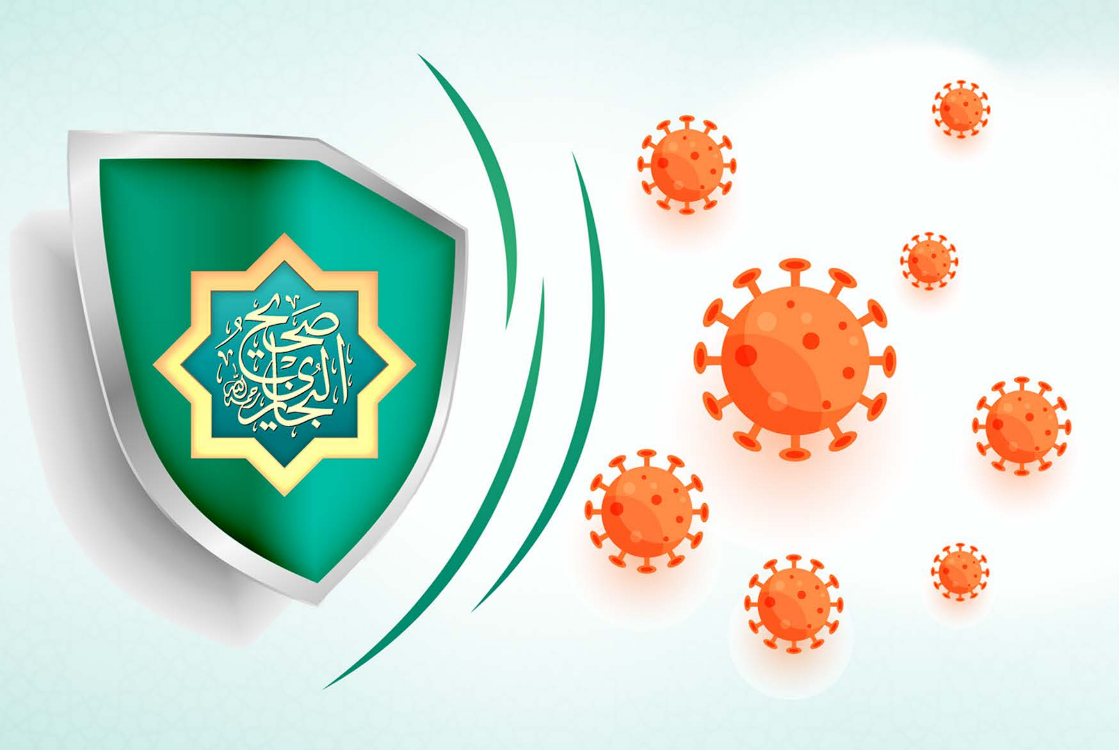
كَيفِيةُ مواجَهةِ الأوْبئةِ

فِي ضوءِ تعاليمِ السُّنةِ المُشرَّفةِ

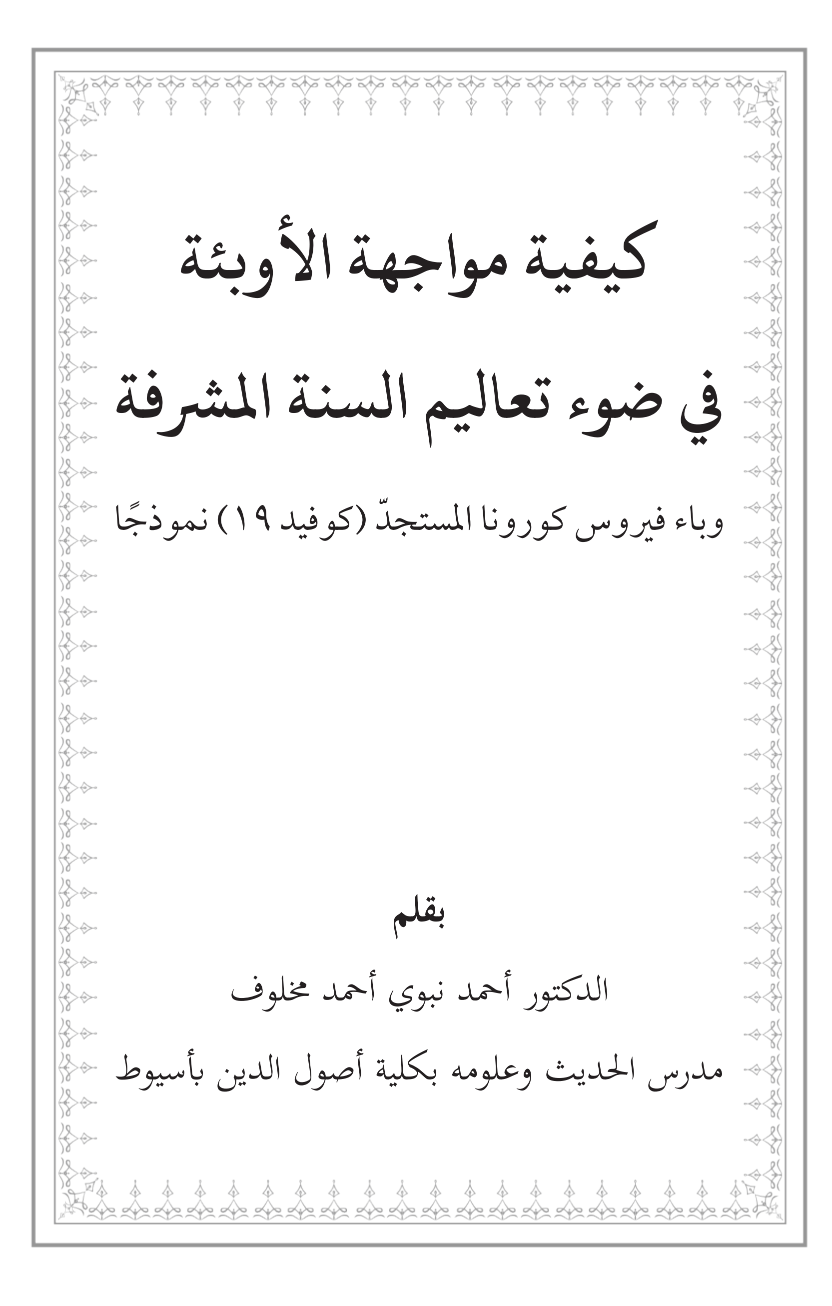
وباء فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩) نموذجًا



تأليف الدكتور

أحمد نبوي

المدرس بجامعة الأزهر



كيفية مواجهة الأوبئة

في ضوء تعاليم السنة المشرفة

وباء فيروس كورونا المستجدّ (كوفيد ١٩) نموذجًا

بقلم

الدكتور أحمد نبوي أحمد مخلوف

مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بأسيوط

هذا الكتاب

(بحثٌ علميٌّ مُحَكَّمٌ)

مُستَلٌّ من مجلة قطاع أصول الدين بجامعة الأزهر

العدد الخامس عشر

سنة ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي النعم المتوالية، والتي من أعظمها الصحة والعافية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه صلاةً تنفعُنا في الدنيا وفي الدار الآخرة.

أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده في دار الدنيا نعمةَ الصحة، ولذا قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ»[١].

وجعل تبارك وتعالى في كونه نواميسَ وسننًا لا تتخلف؛ منها: الابتلاء بالمرض، الذي يجعله سبحانه كفارة لمن أصيب به؛ مصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (ح ٦٤١٢) (٨/٨٨)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض (ح ٥٦٤١و٥٦٤٢) (٧/١١٤) من حديث: أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وهذا الابتلاء قد يكون خاصًّا بكل إنسان في نفسه، وقد يكون عامًّا؛ كالأوبئة التي تظهر ما بين الحين والآخر في بلد أو قُطْر أو ناحية، وربما تعُم أكثر من ذلك فتفشو في نواحٍ متعددة.

وقد ظهر في تاريخ الإنسانية عددٌ من الأوبئة والأمراض؛ ك: الطاعون، والحصبة، والكوليرا، والملاريا، والإنفلونزا الأسبانية، وانفلونزا الخنازير.

وظهر في هذه الآونة التي نعيشها الآن مرض أطلق عليه اسم: «فيروس كورونا (COVID-19)»؛ بدأ بالتفشي في مدينة ووهان في جمهورية الصين الشعبية، وذلك كما في تقرير منظمة الصحة العالمية أن: «فاشية مرض فيروس كورونا (COVID-19) المندلعة حاليًا والتي أبلغ عنها لأول مرة بمدينة ووهان الصينية يوم ٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩م»[(١)].

ثم أصيب الملايين في العالم كلِّه بهذا الوباء، وتفشّىٰ وانتشر، ومات بسببه الآلالف من الناس، رغم اتخاذ البشرية سبلًا عديدة لمواجهته ومكافحته.

وترتب علىٰ انتشار هذا الوباءِ آثارٌ شرعيةٌ؛ أهمها: تعليقُ صلاةِ الجمعة والجماعات في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، والجامع الأزهر الشريف في مصر، وما دون ذلك من المساجد والزوايا في أغلب دولنا العربية والإسلامية والعالم كله.

---

(١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية (www.who.int/ar).

من أجل هذا عزمتُ على استجلاء موقف السنة المشرفة من هذه الأوبئة المرضية، وكيفية مواجهتها، وسبل ذلك؛ من خلال إرشادات النبي ﷺ وتوجيهاته، فكان هذا التأليف الذي سميته: « **كيفية مواجهة الأوبئة في ضوء تعاليم السنة المشرفة..وباء فيروس كورونا المستجدّ (كوفيد ١٩) نموذجًا**».

وإنني لأرجو من الله تعالى أن يكون هذا المؤلَّفُ حلقةً في سلسلة حَلَقات متصلة، كتبها علماء السنة في التعامل مع الأوبئة التي كانت تقع في أزمانهم، ويأتي على قمتها كتاب «**بذل الماعون في فضل الطاعون**» لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني[1].

وقد قسمته إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فهي تلك التي بين يديك.

والمبحث الأول: التعريف بفيروس كورونا وآثار ظهوره الطبية والمجتمعية والدينية.

والمبحث الثاني: لمحة عن أشهر الأوبئة في تاريخنا.

---

(١) وقد ذكر محقق الكتاب (ص٢٦- ٣٨): عددًا من المؤلفات في هذا الموضوع، مما سبق الحافظَ ابنَ حجر أو جاء بعده.

والمبحث الثالث: أحاديث إثبات العدوى ونفيها.

والمبحث الرابع: كيفية مواجهة السنة المشرفة الأوبئة المرضية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجانب المادي.

والمطلب الثاني: الجانب الروحي.

والخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

والله الكريم أسأل: أن يرفع عن بلادنا الوباء والبلاء، وأن يُلبسنا حلل الصحة والعافية.

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

التعريف بوباء فيروس كورونا وآثاره

أتناول في هذا المبحث - بعونه تعالىٰ - تعريف الوباء، والتعريف بـ (فيروس كورونا المستجد[١] – كوفيد ١٩) وأهم آثار ظهوره الطبية والاجتماعية والدينية، فأقول وعلىٰ الله الاعتماد، ومنه العون والسداد.

أولًا: تعريف الوباء:

الوباء: هو «كلُّ مرضٍ فاشٍ عامّ»[٢].

وفي موروثنا الحضاري والتاريخي كان يُطلَق الوباءُ - في الأعم الأغلب - علىٰ الطاعون، قال الإمام ابن الأثير: «الوبا بالقصر والمد والهمز: الطاعون والمرض العام»[٣].

وقال الإمام أبو الوليد الباجي: «الوباء هو الطاعون، وهو مرض يعم

---

(١) الجيم في (المستجد) يجوز كسرها علىٰ الفاعلية، وفتحها علىٰ المفعولية بالظروف المحيطة.

(٢) المعجم الوسيط (٢/١٠٠٧)، وانظر: تاج العروس (١/٤٧٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/١٤٤).

الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، ويكون مرضهم غالبا مرضا واحدا بخلاف سائر الأوقات فإن أمراض الناس مختلفة»[١].

وكان يُطلق الطاعون على الوباء، قال ابن الأثير: «والطاعون: المرض العام والوباء؛ الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان»[٢].

والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقًا؛ فكل طاعون وباء ولا عكس، وقد عقد شيخ الإسلام ابن حَجر فصلًا في «بذل الماعون» قرر فيه: أن الطاعون غير مرادف للوباء، وأن إطلاقه عليه إنما هو بطريق المجاز؛ لكونه أخصَّ منه[٣].

وهذا هو ما استقر عليه الأمر أخيرًا؛ فقد عرّف مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الطاعون) بأنه: «داء وَرَمي وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران، وتنقُلُه البراغيث إلى فئران أخرى، وإلى الإنسان»[٤].

وعرّف (الوباء) بأنه: «الطاعون، وكل مرض فاشٍ عام»[٥].

(١) المنتقى شرح الموطا (١٩٨/٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٧/٣).

(٣) بذل الماعون في فضل الطاعون (ص ١٠٢- ١٠٨).

(٤) المعجم الوسيط (٥٥٨/٢).

(٥) المعجم الوسيط (١٠٠٧/٢).

ثانيًا: التعريف بفيروس كورونا المستجَد (كوفيد ١٩):

قررت منظمة الصحة العالمية أن: «فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عددًا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي؛ التي تتراوح حِدّتها من نزلات البرد الشائعة، إلى الأمراض الأشد وخامةً؛ مثل: متلازمة الشرق الأوسط التنفسية، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس).

ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخرًا: مرض فيروس كورونا كوفيد-١٩.

ومرض (كوفيد-١٩) هو مرض مُعدٍ يسببه فيروس كورونا المكتشف مؤخرًا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجدَّين، قبل اندلاع الفاشية في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩م».

فـ «COVID**19**»: هو إشارة لـ«فيروس كورونا ٢٠١٩».

وذلك أن (Co) إشارة لـ« كورونا Corona»، و(vi) إشارة لـ«فيروس virus»، و(d) إشارة لكلمة مرض باللغة الإنجليزية (disease)،

و(19) إشارة لـ«السنة التي ظهر فيها وهي ديسمبر ٢٠١٩م»[١].

ثالثًا: نشأته وتطوره:

في الأول من يناير سنة ٢٠٢٠م وبعد ساعات فقط من إبلاغ المنظمة عن أولى حالات المرض، قامت منظمة الصحة العالمية بتفعيل فريق دعم إدارة الحوادث التابع لها لغرض تنسيق استجابة دعوة المنظمة في المقر الرئيسي وعلى المستويين الإقليمي والقُطري.

وفي يوم ٥ يناير ٢٠٢٠ أخطرت المنظمة رسميًا جميع الدول الأعضاء بهذه الفاشية الجديدة، ونشرت أخباراً متعلقةً بها على موقع المنظمة، وفي ١٠ يناير، أصدرت مجموعة شاملة من الإرشادات الموجهة إلى البلدان بشأن كيفية الكشف عن حالات الإصابة المحتملة واختبارها وتدبيرها علاجيًّا، وحماية العاملين الصحيين، وفي اليوم ذاته دعت المنظمة إلى عقد اجتماع لفريقها الاستشاري الإستراتيجي والتقني المعني بالأخطار المعدية لاستعراض الوضع.

وفي ٢٢ يناير دعت إلى عقد اجتماع للجنة الطوارئ، وبعد ذلك بأسبوع إثر الإبلاغ عن أولى حالات انتقال المرض بين البشر خارج الصين، أعلنت أن فيروس كورونا المستجد يشكّل طارئة صحة عامة ذات قلق دولي،

(١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية (www.who.int/ar)، وانظر: الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد (ص ٢).

باعتبارها أعلىٰ مستوىٰ إنذار في المنظمة، وبلغ عدد الحالات المسجلة خارج الصين آنذاك ٩٨ حالة، دون تسجيل أي وفيات.

وفي مطلع فبراير ٢٠٢٠م تم تنشيط فريق إدارة الأزمات التابع للأمم المتحدة ليتولىٰ تنسيق جميع آليات الأمم المتحدة من أجل دعم البلدان بأكبر قدر ممكن من الفعالية.

وفي ١١ فبراير تم تسمية المرض باسم (كوفيد-١٩) وفي ١١ مارس تم تصنيف (كوفيد-١٩)كوباء عالمي.

وتم إعلان أول حالة إيجابية لمرض (كوفيد-١٩) في مصر يوم ١٤ فبراير سنة ٢٠٢٠م[١].

رابعًا: الآثار المترتبة على تفشي (كوفيد ١٩) في العالم:

كان لتفشي هذا المرض في العالم كله: آثارٌ طبيةٌ واجتماعيةٌ وشرعيةٌ:

* آثاره الطبية:

جاء في تقارير منظمة الصحة العالمية أن «الأعراض الأكثر شيوعًا لمرض (كوفيد-١٩) تتمثل في الحمىٰ والإرهاق والسعال الجاف. وقد يعاني بعضُ

(١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية (www.who.int/ar)، وانظر: الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد (ص ٤).

المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال. وعادةً ما تكون هذه الأعراضُ خفيفةً وتبدأ تدريجيًّا. ويصاب بعضُ الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أيُّ أعراضٍ ودونَ أن يشعروا بالمرض. ويتعافى معظم الأشخاص (نحو ٨٠٪) من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص. وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريبًا من كل ٦ أشخاص يصابون بعدوى (كوفيد-١٩) حيث يعانون من صعوبة التنفس.

وتزداد احتمالاتُ إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكّري: بأمراض وخيمة»[١].

❊ آثاره الاجتماعية:

وأما آثاره الاجتماعية **في عموم دول العالم**:

فللحدّ من تفشي فيروس كورونا، لجأت معظم الدول إلى فرض حظر التجول وتقييد حركة مواطنيها، بعدما تضاعفت معدلات الإصابة المؤكدة بالفيروس، وكذلك تعليق العمل في المدارس والجامعات واللجوء إلى طريقة التعليم عن بعد.

---

(١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية (www.who.int/ar)، وانظر: الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد (ص ٩).

وصارت «أعظم الجنسيات في عالم اليوم، معزولةً داخلَ غرفها أو منازلها، أحيائها، مدنها، بلا حركة طيران ولا قطارات ولا خروج ولا متنزهات، ولا مطاعم ولا ملاهي، يخزنون المياه والأطعمة، يتكالبون على الكمامات والمعقمات، يعيشون في قلق ورعب وخوف واكتئاب وذعر وتوحد وانعزال!

وصارت اقتصادات العالم - جميعها - تعاني من خسائر مجمّعة مباشرة وغير مباشرة تتجاوز التريليونات من الدولارات، والصناعات مثل النقل الجوي، والسياحة، والسفر والفنادق: تُحتَضر.

وصناعات النفط تنذر بأقل هبوط تاريخي لبرميل النفط، والشركات الكبرى والمتوسطة والصغرى لا تعرف ماذا تفعل مع جيوش موظفيها وعمالها وكيفية التعامل مع تأمينهم صحيًّا وماديًّا؟

والمساجد والكنائس والمعابد وملاعب كرة القدم والاحتفالات والاجتماعات العامة والمقاهي والمطاعم: بلا جمهور.

والاقتصادات، والحكام، والحكومات، والعلماء، والأطباء، والنظام الصحي والعملات، والبورصات، والتجارة العالمية، والانتقالات في الداخل والخارج: تحت ضغط غير مسبوق.

باختصار.. البشرية - فجأة - في أزمة! إنه درس يدعو كل من على

كوكب الأرض إلى أن يتأمّله بعمق ويتدارسَه»[١].

أما عندنا في مصر:

فقد تم أولا قرار تعليق الدراسة بالمدارس والجامعات لمدة أسبوعين اعتبارًا من الأحد الموافق ١٥ مارس ٢٠٢٠ بناءً على توجيهات السيد رئيس الجمهورية، ثم تمديدها إلى أسبوعين إضافيين، وعُلّقت حركةُ الطيران بكافة المطارات المصرية من ظهر الخميس ١٩ مارس وحتى نهاية الشهر، ثم مُدّت إلى منتصف أبريل.

وتم تخفيض عدد العاملين في الجهات الإدارية الحكومية، لأقل عدد ممكن، لتخفيف الضغط على وسائل النقل والمواصلات.

كما تم إعطاء إجازات مدفوعة الأجر، للموظفين والعاملين الذين ينتقلون من محافظة لأخرى، لتقليل التنقلات والحركة.

وفي مساء الأربعاء ٢٥ مارس ٢٠٢٠م بدأ سريان حظر التجول في جميع المحافظات، من الساعة السابعة مساءً حتى السادسة صباحًا، ولمدة أسبوعين كواحد من الإجراءات الوقائية.

---

(١) بتصرف وتلخيص من مقال بعنوان: (كلا إن الإنسان ليطغى)، لعماد الدين أديب، نشر في صحيفة (الوطن) المصرية بتاريخ: ١٥ مارس ٢٠٢٠م. ونشر في صحيفة (الشرق) اللبنانية بتاريخ: ١٧ مارس سنة ٢٠٢٠م.

وترتب على هذا الحظر عددٌ من التغيرات الاجتماعية؛ فقد جاء في بيان مجلس الوزراء المصري ما يلي:

إيقاف كافة وسائل النقل العام والجماعي من الساعة السابعة مساءً وحتى السادسة صباحًا.

إغلاق كافة المحال التجارية والحرفية بما فيها محلات تقديم السلع والمولات من الخامسة مساءً، وإلى السادسة صباح اليوم التالي.

الإغلاق التام لكافة المحالّ التجارية والحرفية والمولات يومي الجمعة والسبت.

عدم سريان القرارات على الصيدليات والمخابز المتواجدة خارج المولات.

الإغلاق التام لكل الكافيهات والقهاوي وكل من يقدم أنشطة ترفيهية.

غلق المطاعم وكل محالّ المأكولات واقتصارها فقط على توصيل الطلبات.

تعليق تقديم جميع الخدمات التي تقدمها الوزارات والمصالح الحكومية للمواطنين في كل المحافظات طوال مدة الحظر ويستثني فقط مكاتب الصحة لقيد المواليد والوفيات.

غلق كل النوادي الرياضية والشعبية ومراكز الشباب والصالات الرياضية في كافة أنحاء الجمهورية.

استمرار تعليق قرار إيقاف الدراسة بالمدارس والجامعات والمعاهد لمدة ١٥ يوم إضافية.

استمرار العمل بقرار مجلس الوزراء بخفض أعداد العاملين في الأجهزة والوزارات لمدة ١٥ يوم.

وقد اتخذت مصر هذه الإجراءات الاحترازية، بهدف تقييد حركة فيروس كورونا ومحاصرته، كخطوة رئيسية في سبيل القضاء عليه.

وفيما يتعلق بالقطاع المصرفي: أعلن البنك المركزي تعديل مواعيد عمل البنوك، لتصبح بالنسبة للجمهور من الساعة التاسعة والنصف صباحًا إلى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، وبالنسبة للموظفين ستكون مواعيد العمل من الساعة التاسعة صباحًا إلى الساعة الثانية بعد الظهر، وذلك لحين صدور تعليمات أخرى.

وقررت الهيئة القومية للبريد تعديل مواعيد العمل بجميع مكاتب البريد على مستوى الجمهورية، لتبدأ من الساعة الثامنة صباحًا وحتى الواحدة ظهرا.

أما مترو الأنفاق: فقد أعلن أنه سيبدأ عمله من الخامسة والربع صباحًا حتىٰ الخامسة والنصف مساءً، علىٰ أن يعمل اعتبارًا من يوم الخميس من السادسة صباحًا حتىٰ السادسة مساء، بحيث يكون موعد تحرك آخر قطار الساعة ٤:٣٠ مساء.

وعلىٰ نفس المنوال، أعلنت هيئة النقل العام بالقاهرة تعديل مواعيد تشغيل جميع خطوط هيئة النقل العام بالقاهرة الكبرىٰ، لتبدأ يوميا من الساعة ٦:٣٠ صباحا حتىٰ الساعة ٦ مساءً.

أما الشركة المصرية للاتصالات - فقد أعلنت من جانبها - تعديل مواعيد العمل بفروع الشركة علىٰ مستوىٰ الجمهورية اعتبارا من يوم غد الأربعاء ٢٥ مارس ٢٠٢٠ وحتىٰ انتهاء فترة الحظر، بحيث يبدأ العمل في الثامنة والنصف صباحا وحتىٰ الرابعة عصرا»[١].

❊ آثاره الدينية والشرعية:

وأما الآثار الشرعية فتم تعليقُ صلاةِ الجمعة والجماعات في الحرمين

---

(١) الموقع الرسمي لرئاسة مجلس الوزراء المصري.

ولا يزال حظر التجوال ساريا من الثامنة مساء وحتىٰ الرابعة فجرا حتىٰ وقت كتابة هذه السطور في منتصف شهر يونيو ٢٠٢٠م نسأل الله اللطف والفرج.

الشريفين، بمكةَ المكرمة والمدينةِ المنورة[١]، والجامع الأزهر الشريف في مصر[٢]، وما دونها من المساجد والزوايا في أغلب دولنا العربية والإسلامية والعالم كله.

وصلينا في مصر الأوقاتَ كلها في البيوت، وكان يوم الجمعة الثالث من شعبان ١٤٤١هـ، الموافق ٢٧ مارس ٢٠٢٠م: أولَ مرة في العصر الحديث نرىٰ فيه إيقافَ صلاة الجمعة وتعطيلَها بالمساجد في القُطْر المصري بأكمله[٣]، وغيره من الأقطار العربية والإسلامية، وعلى الأخص الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

وصلينا التراويح في شهر رمضان في البيوت واستمر تعليقُ الصلوات

---

(١) صدر القرار في يوم الخميس ٢٤ رجب ١٤٤١هـ، الموافق ١٩ مارس ٢٠٢٠م. واقتصر حضور خطبة الجمعة فيهما علىٰ العمال والموظفين فقط.

(٢) صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب بإغلاق الجامع الأزهر الشريف في مصر، صباحَ يومِ السبت ٢٦ رجب ١٤٤١هـ الموافق ٢١ مارس ٢٠٢٠م، وفي ظهر نفس اليوم صدر قرار وزارة الأوقاف المصرية بإغلاق جميع المساجد والزوايا علىٰ مستوىٰ الجمهورية.

(٣) وبدأت عودة الشعائر تدريجيا بعد عيد الفطر، فأقيمت الجمعة في مسجد واحد فقط بحضور عشرين مصليا، وكانت أول جمعة في يوم ٦ شوال من السيدة نفيسة، والجمعة التي بعدها ١٣ شوال من الجامع الأزهر، والتي بعدها ٢٠ شوال من سيدنا الحسين، والتي بعدها ٢٧ شوال من السيدة زينب، ونسأل الله الفرج القريب.

والجمع في الشهر بأكمله، في كل مساجد مصر[١]، والعيد كذلك[٢]، وتمت إقامة صلاة التراويح في الحرمين الشريفين، لكن دون مصلين، وذلك بحضور موظفي رئاسة شؤون الحرمين وعمال التعقيم فقط، واختصرت الصلاة إلى عشر ركعات بخمس تسليمات، ودعاء القنوت كان مختصرا مركزا على الابتهال إلى الله لإنهاء الوباء، وتم تعليق الاعتكاف في الحرمين خلال شهر رمضان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

---

(١) إلا ما استثني من نقل شعائر التراويح من جامع عمرو بن العاص بحضور الموظفين فقط عبر إذاعة القرآن الكريم في مصر، في العشر الأواسط، وفي العشر الأواخر نقلتها الإذاعة من الجامع الأزهر الشريف، إضافة إلى نقل التهجد وصلاة الفجر من مسجد الفتاح العليم عبر ست قنوات تليفزيونية فضائية، والصلاة في كل ذلك بدون جمهور.

(٢) أقيمت صلاة العيد في مسجدين فقط في مصر كلها، هما السيدة نفيسة والفتاح العليم، بعدد محدود، وتم نقلهما في القنوات الفضائية، وإذاعة القرآن الكريم.

المبحث الثاني

لمحة عن أشهر الأوبئة في تاريخنا

لم يكن وباء (كوفيد ١٩) أولَ وباء يعم البشرية، بل إن الناظر في كتب التاريخ يرىٰ عددًا من الأوبئة والكوارث المرضية قد حلّت ووقعت، وثمة سؤالٌ يرِد علىٰ أذهان العامة:

هل نزول هذه الأوبئة غضب من الله أم رحمة منه؟

وقد عقد شيخُ الإسلام الحافظ ابن حجر فصلًا في «بذل الماعون» في بيان أن الأوبئة كالطاعون إنما هي ابتلاء من الله تعالىٰ، وأنها لمؤمني هذه الأمة رحمة وشهادة[١]؛ مستدلًّا بما أخرجه أحمد وغيره عن أَبِي عَسِيبٍ، مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّىٰ، وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّىٰ بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَىٰ الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَرَحْمَةٌ، وَرِجْسٌ عَلَىٰ الْكَافِرِ»[٢].

---

(١) بذل الماعون (ص ٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (ح ٢٠٧٦٧) (٣٦٦/٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (ح ٩٧٤) (٣٩١/٢٢)، من طريق: يزيد بن هارون حدثنا مسلم بن عبيد أبو نصيرة،

وسوف أعرض في هذا المبحث عددًا من أهم الأوبئة التي وقعت في تاريخنا، بدايةً من طاعون عمَواس[١] في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانتهاءً بوباء (كوفيد ١٩)، فأقول ومن الله أستمد العَون والتأييد:

❋ طاعون عَمَواس سنة (١٨هـ) في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب:

قال ابن الأثير: وكان عدةُ من مات في طاعون عَمَواس: خمسة وعشرين ألفًا[٢].

وقال البدر العيني: «وطاعون عَمَواس هو أولُ طاعون وقع في الإسلام،

قال: سمعت أبا عسيب، فذكره. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣١٠): «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات». وقال ابن حجر: هذا حديث حسن. وهو كما قال؛ من أجل: مسلم بن عبيد أبو نُصَيرة؛ فقد وثقه أحمد، وقال ابن معين: صالح. وقال الأزدي: ضعيف، وأشار الترمذي إلى لينه، وضعفه الدارقطني. انظر: ميزان الاعتدال (٤/٥٨٠). وقال في الكاشف (٢/٤٦٨): ثقة. فتلخيص حاله أنه حسن الحديث، كما دل عليه صنيع الحافظ ابن حجر.

(١) عمواس قرية فلسطينية احتلت عام ١٩٦٧ ودمرها الجيش الصهيوني المحتل وطرد أهلها. وفيها بدأ الطاعون ثم فشا في أرض الشام.

وقيل - كما في تاج العروس (١٦/٢٨٧) - : إنما سمي طاعون عمواس، لأنه عم وآسى: أي جعل بعض الناس أسوة بعض.

(٢) الكامل في التاريخ (٢/٣٧٩).

ومات في الشام في هذا الطاعون: ثلاثون ألفًا»[١].

وقال البدر العيني أيضًا وتابعه القسطلّاني: «والمَوَتان[٢] كان في طاعون عمواس، زمنَ عمر بن الخطاب، رضي الله تعالىٰ عنه، مات فيه سبعون ألفًا في ثلاثة أيام، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس»[٣].

قلت: واختلاف تقدير المؤرخين للعدد يدل علىٰ كثرة من مات واستشهد، وعلىٰ هَول هذا الوباء في ذلك الحين؛ ولذا قال الذهبي: «فاستُشهد فيه خلقٌ من المسلمين»[٤]. وقال ابن الأثير: «وتفانىٰ الناسُ منه»[٥].

وقد استشهد فيه جمعٌ من أكابر الصحابة؛ قال الذهبي: «فاستشهد أبو عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح الفهري أمين الأمة، وأمير أمراء الشام. ومن مناقبه: أن أبا بكر أشار به وبعمر للخلافة يوم السقيفة.

واستشهد بالطاعون: معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، وله ست وثلاثون سنة، وكان من نجباء الصحابة. ويزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي؛ أسلم يوم الفتح، ثم كان من أفاضل الصحابة، وهو أحد الأمراء

---

(١) عمدة القاري (٢١/٢٥٦).

(٢) الموتُ والمَوَتَانُ ضِدّ الحَيَاة. تاج العروس (٥/٩٨).

(٣) عمدة القاري (١٥/١٠٠)، إرشاد الساري (٥/٢٤١).

(٤) تاريخ الإسلام (٢/٩٩).

(٥) الكامل في التاريخ (٢/٣٧٦).

الأربعة الذين استعملهم الصديق على غَزو الشام، ثم ولي دمشق لعمر، وولي دمشق بعده أخوه معاوية.

واستشهد في الطاعون: أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري الذي رده أبوه في قيوده يوم الحديبية. وأبو عبد الرحمن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه. وقيل استشهد باليرموك»(١).

❊ طاعون الجارف سنة (٦٩هـ):

قال الذهبي: «وكان في أولها طاعونُ الجارف بالبصرة، فقال المدائني: حدّثني من أدرك الجارفَ قال: كان ثلاثةَ أيام، فمات فيها في كل يومٍ نحوٌ من سبعين ألفًا.

قال خليفة: قال أبو اليقظان: مات لأنس بن مالك في طاعون الجارف ثمانون ولدًا، ويقال: سبعون. وقيل: مات لعبد الرحمن بن أبي بكرة أربعون ولدًا. وقلّ الناس جدًّا بالبصرة، وعجزوا عن الموتى، حتى كانت الوحوش تدخل البيوت فتصيب منهم. وماتت أم أمير البصرة، فلم يجدوا من يحملُها إلا أربعة. ومات لصدقةَ بن عامر المازني في يوم واحد سبعةُ بنين، فقال: اللهم إني مسلّم مسلّم.

(١) العبر في خبر من غبر (١/١٦).

ولما كان يوم الجمعة خطب الخطيبُ ابنُ عامر، وليس في المسجد إلا سبعةُ أنفس وامرأةٌ، فقال: ما فعلت الوجوه؟ فقالت المرأة: تحت التراب.

وقد ورد أنه مات في الطاعون عشرون ألف عروس، وأصبح الناس في رابع يوم ولم يبق حيًّا إلا القليلُ، فسبحان من بيده الأمر»[١].

وقد سمي هذا الطاعون بالجارف؛ لكثرة من مات فيه من الناس، وسمي الموت جارفًا؛ لاجترافه الناس، وسمي السيل جارفًا؛ لاجترافه على وجه الأرض، والجرف: الغرف من فوق الأرض وكشح ما عليها[٢].

*** الوباء العظيم بمصر سنة (٢١٨هـ):**

قال الذهبي: «قال محمد بن عبيد الله المسبحي في «تاريخ مصر» وفيها: وقع الوباءُ العظيم بمصرَ، فمات أكثرهم، وغلا السعر هذه السنة، وبعض سنة تسع عشرة [ومئتين]. قال: ولم تبق دار ولا قرية إلا مات أكثر أهلها، ولم يبق بمصر رئيس ولا شريف مشهور»[٣].

*** الوباء الشديد سنة (٢٨٨هـ) بأذربيجان:**

قال ابن كثير: «اتفق في هذه السنة مصائب عديدة ... ومنها: أن بلاد

(١) تاريخ الإسلام (٢/٦١٦)، وانظر: العبر (١/٥٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (١/١٠٥)، وانظر: تاج العروس (٢٣/٧٨).
(٣) تاريخ الإسلام (٥/٢٥٢).

أذربيجان أصاب أهلَها وباءٌ شديد، حتىٰ لم يبق أحد يقدر علىٰ دفن الموتىٰ، فتركوا في الطرق لا يوارَون عن الأبصار»[١].

وقال ابن الأثير: «فمات منه خلق كثير؛ إلىٰ أن فقد الناس ما يكفّنون به الموتىٰ، وكانوا يتركونهم علىٰ الطرق غير مكفَّنين ولا مدفَّنين»[٢].

وذكر الذهبي أنهم نتيجة لفقد الأكفان: «كُفّنوا في الأكسية واللُّبُود[٣] ثم طُرِحُوا في الطرق»[٤].

❋ الوباء المفرط ببغداد سنة (٣٢٩هـ):

قال الذهبي: «وفيها: كان الوباء المفرط ببغداد، حتىٰ كان يدفن في القبر الواحد جماعة»[٥].

وفصّل ابن الأثير هذه الكائنةَ نوعَ تفصيل بقوله: «في هذه السنة كان بالعراق غلاءٌ شديد، فاستسقىٰ الناس في ربيع الأول، فسُقوا مطرًا قليلا

(١) البداية والنهاية (١٤/٦٩٣).

(٢) الكامل (٦/٥١٨). وانظر: العبر (١/٤١٤)، شذرات الذهب (٣/٣٦٦).

(٣) اللبود: ما يلبس للوقاية من المطر والبرد. انظر: تاج العروس (٩/١٢٩)، المعجم الوسيط (٢/٨١٢).

(٤) تاريخ الإسلام (٦/٦٦١)، العبر (١/٤١٤)، وانظر: شذرات الذهب (٣/٣٦٦).

(٥) تاريخ الإسلام (٧/٢٢٥)، وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٣/٢٣٠).

لم يجر منه ميزاب[١]، ثم اشتد الغلاء والوباء، وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة في القبر الواحد ولا يغسّلون، ولا يصلّى عليهم»[٢].

❊ موت الناس من شدة الحر سنة (٣٧٨هـ) في البصرة:

قال ابن كثير: «في المحرم منها، كثر الغلاء والفناء ببغداد، وفي شعبان كثرت الرياح والعواصفُ، بحيث هدّمت شيئا كثيرًا من الأبنية، وغرّقت سفنًا كثيرة، واحتملت بعض الزوارق فألقته بالأرض من ناحية جُوخى، وهذا أمر هائل وخطب شامل. وفي هذا الوقت لحق أهلَ البصرة حرٌّ شديد؛ بحيث سقط كثير من الناس في الطرقات، وماتوا من شدة الحر»[٣].

وقال ابن الأثير: «وفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدة الحر، فمات خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع»[٤].

---

(١) الميزاب أو المزراب: هو أنبوبة من الحديد ونحوه، تركب في جانب البيت من أعلاه؛ لينصرف منها ماء المطر المتجمع. انظر: المعجم الوسيط (١/٣٩١).

(٢) الكامل (٧/٩٨).

(٣) البداية والنهاية (١٥/٤٣٠).

(٤) الكامل (٧/٤٢٤).

❋ وباء سنة (٣٩٥هـ) في بلاد إفريقية[١]:

قال ابن الأثير: «في هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد؛ بحيث تعطلت المخابز والحمامات، وهلَكَ الناس، وذهبت الأموال من الأغنياء، وكثر الوباء؛ فكان يموت كلَّ يوم ما بين خمسٍ مئة إلىٰ سبعِ مئة»[٢].

وقال ابن كثير: «وفيها: كان غلاء عظيم وفناءٌ ببلاد بإفريقية؛ بحيث تعطلت المخابز والحمامات، وذهب خلق كثير من الفناء، وهلك آخرون من شدة الغلاء، فلله الأمر من قبل ومن بعد، وهو المسئول المأمول أن يحسن العاقبة»[٣].

❋ وباء الجُدَري[٤] يحصد في سنة (٤٢٣هـ) أرواحَ أكثرَ من أربعين ألف إنسان:

قال ابن الجوزي: «ووردت الأخبار بما كان من الوباء والموت في بلاد

(١) هو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة، قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلىٰ قبالة جزيرة الأندلس. انظر: معجم البلدان (٢٢٨/١). وجزيرة صقلية اليوم: هي أكبر الجزر الموجودة في البحر الأبيض المتوسط، وهي جزءٌ من الدولة الإيطاليّة.

(٢) الكامل (٥٤٠/٧).

(٣) البداية والنهاية (٥٠٨/١٥).

(٤) الجدري: مرض جلدي مُعْدٍ يتميز بطفح حليمي يتقيح ويعقبه قشر. انظر: المعجم الوسيط (١١٠/١).

الهند وغَزْنَةَ، وكثيرٍ من أعمال خراسان وجرجان والري وإصبهان ونواحي الجبل والموصل، وأن ذلك زاد على مجاري العادة، وخرج من أصبهان في مدة قريبة أربعون ألف جنازة، وكان ببغداد من ذلك طرفٌ قوي، ومات من الصبيان والرجال والنساء بالجدري: ما زاد علي حد الإحصاء، حتى لم تخلُ دارٌ من مصاب، واستمر **هذا الجدريُّ** ... وكان في الصيف أكثرَ منه في الخريف، وجاء كتابٌ من الموصل أنه مات بالجدري أربعةُ آلاف صبي»[١].

❋ موت سبعين ألفًا ببغداد سنة (٤٢٥هـ) بسبب وباء الخوانيق[٢]:

قال ابن كثير: «وفيها: كثر الموت بالخوانيق؛ حتى كان يغلقُ البابُ على مَن في الدار، كلُّهم قد مات، وكان أكثر ذلك ببغداد، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفًا»[٣].

وقال الذهبي: «واشتغل الناس بالوباء المفرط ببغداد، فيقال مات بها سبعون ألفًا منه»[٤].

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/٢٣٠)، وانظر: البداية والنهاية (١٥/٦٤٣)، تاريخ الإسلام (٩/٣٤٨).

(٢) الخوانيق – ومفرده خناق –: كل داء يمتنع معه نفوذُ النفَس إلى الرئة. انظر: المعجم الوسيط (١/٢٦٠).

(٣) البداية والنهاية (١٥/٦٤٩).

(٤) العبر (٢/٢٥٢).

ولم يكن هذا الوباءُ في بغداد فقط بل كان في: بغداد والموصل وفارس وخوزستان، وكان أكثره في النساء[١].

* موت أكثر من مليون ونصف مليون إنسان في سنتي (٤٤٨/ ٤٤٩هـ) وهي التي تسمى: (عام الجوع الكبير):

قال الذهبي: «وفيها - أي سنة ٤٤٨ - كان القحط شديدًا بديار مصر، وشأنه يتجاوز الحد والوصف، وأمر الوباء عظيم؛ بحيث إنه ورد كتاب - فيما قيل - من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا دارا ودخلوا، فوجدوا عند الصباح موتى، أحدهم على باب النقب، والآخر على رأس الدرجة، والثالث في الدار.

وكان القحط العظيم بالأندلس والوباء، ومات الخلق بإشبيلية؛ بحيث إن المساجد بقيت مغلقةً ما لها من يصلي فيها، ويسمى عام الجوع الكبير»[٢].

وعن سنة ٤٤٩ قال الذهبي: «وأما بخارى وسمرقند وتلك الديار، فكان الوباء بها لا يحد ولا يوصف، بل يستحى من ذكره حتى قيل: إنه مات ببخارى وأعمالها في الوباء ألف ألف وست مئة ألف إنسان»[٣].

---

(١) انظر: الكامل (٧/٧٦٦)، تاريخ الإسلام (٩/٣٥١)، البداية والنهاية (١٥/٦٤٩).
(٢) تاريخ الإسلام (٩/٦١٥).
(٣) تاريخ الإسلام (٩/٦١٦).

وعند ابن كثير تفصيل أكثر لهذه الكارثة التي حلت بالبشرية في هاتين السنتين؛ فقال «وفي هذه السنة - ٤٤٨ - وقع غلاءٌ شديد وخوف ونهب كثير ببغداد، ثم عقب ذلك فناء عظيم؛ بحيث دُفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين، وغَلَت الأشربةُ وما يحتاج إليه المرضى كثيرًا، واغبرّ الجو، وفسد الهواء، وكثر الذباب.

قال ابن الجوزي في «منتظمه»: وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد الروم وخراسان والجبال والدنيا كلها»[1].

وعن سنة ٤٤٩ يقول ابن كثير: «فيها كان الغلاء والفناء مستمرَّين ببغداد وغيرها من البلاد؛ بحيث خلَت أكثر الدور، وسُدّت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلُها فيها موتى، وصار المارُّ في الطريق لا يلقى إلا الواحدَ بعد الواحد، وأكل الناسُ الجيف والميتات من قلة الطعام، ووُجد مع امرأة فخِذُ كلب قد اخضرّ وأروحَ[2]، وشَوى رجلٌ صَبيّة في الأَتُون وأكَلَها فقتل، وسقط طائر ميت من سطح، فاحتوَشَه خمسةُ أنفس، فاقتسموه وأكلوه.

وورد كتاب من بخارى: أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانيةَ عشرَ ألف إنسان، وأحصي من مات في هذا الوباء إلى أن كتب هذا

(١) البداية والنهاية (٧٣٥/١٥)، والمنتظم (٥/١٦).

(٢) أروح: أنتن.

الكتاب - يعني الوارد من بخارىٰ - بألف ألف وخمسٍ مئة ألف وخمسين ألف إنسان.

والناس يمرون في هذه البلاد، فلا يرون إلا أسواقًا فارغةً وطرقاتٍ خالية، وأبوابًا مغلقة، حكاه ابن الجوزي. قال: وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلادِ بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم إلا العددُ القليل: ووقع وباء بالأهواز وأعمالها وبواسط والنيل والكوفة وطبّق الأرض، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، حتىٰ كان الفقراء يشوون الكلاب، وينبشون القبور، ويشوون الموتىٰ ويأكلونهم.

وليس للناس شغلٌ في الليل والنهار إلا غسلُ الأموات وتجهيزُهم ودفنُهم، وقد كانت تُحفر الحَفيرةُ، فيدفنُ فيها العشرون والثلاثون، وكان الإنسان يكون قاعدًا فينشقُّ قلبه عن دم المُهْجة، فيخرج إلىٰ الفم منه قطرةٌ، فيموت الإنسان من وقته.

وتاب الناس، وتصدّقوا بأكثر أموالهم، وأراقوا الخمور، وكسروا المعازف، وتصالحوا، ولزموا المساجد لقراءة القرآن، وقلّ دار يكون فيها خمرٌ إلا مات أهلُها كلُّهم.

ودُخِل علىٰ مريض له سبعةُ أيام في النزع، فأشار بيده إلىٰ مكان فوجدوا فيه خابية[1] من خمر، فأراقوها، فمات من فوره بسهولة.

---

(١) أي: جَرّة.

ومات رجل بمسجد، فوُجد معه خمسون ألف درهم، فلم يقبلْها أحدٌ، فتركت في المسجد تسعةَ أيام لا يريدها أحد، فدخل أربعة فأخذوها، فماتوا عليها.

وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعُ مئة متفقه، فمات وماتوا كلُّهم إلا اثنئ عشر نفرًا منهم، رحمهم الله تعالىٰ»[(١)].

❋ الشدة المستنصرية بمصر من سنة (٤٥٧) إلىٰ سنة (٤٦٤هـ):

وهي مجاعة وكارثة حلّت بالديار المصرية في عهد الخليفة المستنصر بالله، ويعتبرها المؤرخون أقسىٰ شيء تعرضت له مصر عبر تاريخها؛ قال السيوطي: «كان ابتداء الغلاء العظيم بمصر، الذي لم يُسمع بمثله في الدهور؛ من عهد يوسف الصديق - عليه الصلاة والسلام -، واشتد القحطُ والوباء سبعَ سنين متوالية»[(٢)].

وهذه السنين السبع الشداد سميت بـ(الشدة المستنصرية)؛ كما ذكر المقريزي، وأنها من سنة سبع وخمسين إلىٰ سنة أربع وستين وأربع مئة، ثم وصف ما حلّ بها من الغلاء والوباء؛ قائلًا: «فمات أهلها، وخربت ديارها، وتغيرت أحوالها... ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات قد اصفرّت

(١) البداية والنهاية (١٥/٧٤١).
(٢) حسن المحاضرة (٢/٢٨٧).

وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الأسعار»[١].

وكثر الوباء وانشغل الناس به عن أي شيء، وأكل الناس بعضُهم بعضا، وتشتت أهل مصر في البلاد؛ قال الذهبي: «وقطعت خطبة المصريين؛ لاشتغالهم بما هم فيه من القحط والوباء، الذي لم يُسمع في الدهور بمثله، وكاد الخراب يستولي على وادي مصر»[٢].

وقال ابن الأثير: «وكثر الموت بالجوع، وامتدت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل، وعظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة. واشتد الغلاء حتى حكي أن امرأة أكلت رغيفًا بألف دينار، فاستُبعد ذلك، فقيل: إنها باعت عَروضا قيمتُها ألف دينار بثلاث مئة دينار، واشترت بها حِنطة وحملها الحمال على ظهره، فنُهبت الحنطة في الطريق، فنَهبت هي مع الناس، فكان الذي حصل لها ما عملته رغيفًا واحدًا»[٣].

وأكلوا الجيف والميتات، وأفنيت الدواب وبلغ الإردب القمح مئة دينار ثم عُدم أصلًا، حتى قال سبط ابن الجوزي: «إن امرأة خرجت من القاهرة، ومعها مُد جوهر، فقالت: من يأخذه بمُد قمح؟ فلم يلتفت إليها أحد، فرمته،

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/١١).
(٢) العبر (٢/٣١٢).
(٣) الكامل (٨/٢٤١).

وقالت: ما نفعني وقتَ الحاجة، هكذا ذكروا، والله تعالى أعلم بصحته»[١].

❋ وباء سنة (٤٦٧هـ):

قال سبط ابن الجوزي: «ووقع الوباء في الدنيا، فمات بالرحبة[٢] عشرةُ آلاف، ومات معظم أهل خراسان والبصرة وواسط، وهبَّتْ ريح سوداء فرمَتْ معظمَ النخل ببغداد وواسط والبصرة»[٣].

❋ الوباء المفرط في دمياط سنة (٥٤٦هـ):

قال الذهبي: «وفيها: كان الوباء المفرط بدمياط، فهلك في هذا العام والذي قبله بها أربعة عشر ألفا، وخَلَت البيوت»[٤].

❋ خراب ديار مصر في سنتي (٥٩٦/٥٩٧هـ):

قال الذهبي: «وفيها – سنة ٥٩٦ – كان نقص النيل، والغلاء والوباء المفرط، وخربت ديار مصر، وجلا أهلها عنها، واشتد البلاء في سنة سبع،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (١/٤٣٥)، ونُقِلت عنه في: تاريخ الإسلام (١٠/١٤١)، العبر (٢/٣١٢)، النجوم الزاهرة (٥/١٧)، حسن المحاضرة (٢/٢٨٨)، شذرات الذهب (٥/٢٥٩).

(٢) في العراق.

(٣) مرآة الزمان (١٩/٢٩٢)، وانظر أيضًا: البداية والنهاية (١٦/٤٧).

(٤) تاريخ الإسلام (١١/٧٦٤).

وأكلوا الجيف، ثم أكلوا الآدميين، ومات بديار مصر أمم لا يحصيهم إلا الله، وكسر النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع، وقيل لم يكمل أربعة عشر ذراعا»[١].

وعن سنة ٥٩٧ يقول: «فيها كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية، وجرت أمور تتجاوز الوصف، ودام ذلك إلى نصف العام الآتي، فلو قال القائل: مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لما أبعد.

والذي دخل تحت قلم الحشرية[٢] في مدة اثنين وعشرين شهرًا: مئةُ ألف وأحد عشر ألفًا بالقاهرة. وهذا نزر في جنب ما هلك بمصر والحواضر، وفي البيوت والطرق ولم يدفن. وكله نزر في جنب ما هلك بالإقليم.

وقيل: إن مصر كان بها تسعُ مئة منسج للحصر، فلم يبق إلا خمسةَ عشر منسجًا، فقس على هذا.

وبلغ الفرُّوج مئة درهم ثم عُدم الدجاج بالكلية، لولا ما جُلب من الشام.

---

(١) تاريخ الإسلام (١٢/٩٤١).

(٢) الحشرية: مال من يموت وليس له وارث خاص، وقد كان لها ديوان ومباشرون يحصّلونها ويحملون ما يتحصّل منها إلى الديوان السلطانيّ. صبح الأعشى (٣/٥٣٢)

وأما أكل لحوم الآدميين فشاع وتواتر[(١)].

وفي شعبان: كانت الزلزلة العظمى التي عمّت أكثر الدنيا.

قال أبو شامة: مات بمصرَ خلقٌ تحتَ الهدم. قال: ثم هُدّمت نابلس. وذكر خَسفًا عظيمًا إلى أن قال: وأُحصِي مَن هلك في هذه السنة فكان ألف ومئة ألف ألف»[(٢)].

ولم يقتصر الهلاك على ديار مصر فقط بل قال ابن كثير: «وفيها – سنة ٥٩٧ – وقع وباءٌ شديد ببلاد عَنَزة بين الحجاز واليمن، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة قرية، ولم يبق فيها ديارٌ ولا نافخُ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيعُ أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

(١) ما أثبته المؤرخون في مثل هذه الكوارث الإنسانية من أكل لحوم البشر هو من باب نقل الأحداث وتوصيف الواقع الموجود بكل دقة وأمانة رغم بشاعته وفظاعته، فليس ثمة دين ولا عرف ولا فطرة سوية تقبل هذا، ولكنه إن دل فإنما يدل على مبلغ الفاجعة الإنسانية التي حلت بالناس، نسأل الله اللطف والعافية.

(٢) العبر (١١٧/٣)، وانظر تفاصيل هذه الكارثة الإنسانية التي حلت بالديار المصرية في: مرآة الجنان (١٢٩/٢)، تاريخ الإسلام (٩٤١/١٢).

أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرىٰ علىٰ من حولهم؛ بل هم علىٰ ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد»[١].

❋ وباء سنة (٦٩٥هـ) وموت نحو مئة وثلاثين ألف إنسان:

قال ابن كثير: «وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديدًا جدًّا، وقد تفانىٰ الناسُ إلا القليلَ، وكانوا يحفرون الحَفيرة، فيدفنون فيها الفئام من الناس، والأسعار في غاية الغلاء، والأقواتُ في غاية القلة والغلاء، والموت عمّال، فمات بها في شهر صفر: مئة ألف ونحوٌ من ثلاثين ألفا... وأُفنيت الحمر والخيل والبغال والكلاب مِن أكل الناس لها، ولم يبقَ شيءٌ من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه.

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادىٰ الأولىٰ: ولي قضاءَ القضاة بمصرَ الشيخُ العلامةُ تقي الدين ابن دقيق العيد عِوَضًا عن تقي الدين ابن بنت الأعزّ، ثم وقع الرخصُ بالديار المصرية، وزال الضُّر والجوع في جمادىٰ الآخرة، ولله الحمد»[٢].

❋ الطاعون العامّ سنة (٧٤٩هـ): (الموت الأسود):

قال ابن حجر: «ثم كان الطاعون العام في سنة تسع وأربعين وسبع

(١) البداية والنهاية (٧٠٤/١٦).

(٢) البداية والنهاية (٦٨٣/١٧)، وانظر: تاريخ الإسلام (٦٩٤/١٥).

مئة، ولم يُعَهدْ نظيره فيما مضى فإنه طبّق شرق الأرضِ وغربَها، حتى دخل مكة المشرفة»[(١)].

وقال الحسيني: «وفي أواخر صفر من هذا العام، كان الطاعون العام بأقطار البلدان، وامتدّ إلى أواخر المحرم من العام القابل، فقيل: مات بالقاهرة ومصرَ في اليوم الواحد نحوُ أحدَ عشرَ ألفَ نفس، وأما دمشق فأكثر ما ضُبط فيها في اليوم: أربعُ مئةِ نفس»[(٢)].

وقال ابن تغري بردي: «ولم يكن هذا الوباءُ كما عُهد في إقليم دون إقليم، بل عمّ أقاليم الأرض شرقًا وغربا، وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البرّ... وهو الفناء العظيم، الذي لم يعهد في الإسلام مثله... ورأيت أنا من رأى هذا الوباء، فكان يسمّونه الفصل الكبير، ويسمّونه أيضا بسنة الفناء، ويتحاكون عنه أضعاف ما حكيناه، يطول الشرح في ذكره»[(٣)].

وقال ابن العماد الحنبلي: «فيها: كان الطّاعون العام الذي لم يسمع بمثله، عمّ سائر الدنيا، حتّى قيل: إنه مات نصف الناس حتى الطّيور،

---

(١) بذل الماعون (ص ٣٦٨).

(٢) ذيل العبر (١٤٩/٤).

(٣) النجوم الزاهرة (١٩٥/١٠).

والوحوش، والكلاب»[١].

وتواترت الأخبار بوقوع الوباء في أطراف البلاد، وتضاعف عددُ الموتىٰ منهم، وتعطّلت مصالح الناس، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتىٰ يموتَ أكثرهم، ولم يزل الناس في بلاء وكرب حتىٰ قال ابن كثير: «وفي يوم الاثنين ثاني عشره - رجب - بعد أذان الظهر حصل بدمشق وما حولها: ريحٌ شديدة أثارت غبارًا شديدًا اصفرّ الجوُّ منه، ثم اسودَّ حتىٰ أظلمت الدنيا، وبقي الناس في ذلك نحوًا من ربع ساعة يجأرون إلىٰ الله عز وجل، ويستغفرون، ويبكون، مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع، ورجا الناس أن هذا الحالَ يكون ختامَ ما هم فيه من الطاعون، فلم يزدد الأمر إلا شدةً، وبالله المستعان»[٢].

وقد فصّل المؤرخون[٣] أحداثَ هذه الفاجعةِ التي ضربت الإنسانيةَ جمعاء؛ حتىٰ أذن الله برفعها في أول سنة خمسين وسبع ومئة.

وقد أطلق الأوربيون عليه: الموت الأسود[٤].

---

(١) شذرات الذهب (٨/٢٧١).

(٢) البداية والنهاية (١٨/٥٠٧).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٨/٥٠٢- ٥٠٨)، النجوم الزاهرة (١٠/١٩٥-٢١٣).

(٤) انظر مقدمة تحقيق بذل الماعون.

* وباء دمشق سنة (٧٧٤هـ):

قال ابن حجر: «وفيها كان الوباء بدمشق فدام قدر ستة أشهر، وبلغ العدد في كل يوم مئتي نفر»(١).

ومعنى هذا أنه قد مات بسببه أكثر من خمسة وثلاثين ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه رجعون.

* وباء سنة (٧٨٢هـ) بمصر:

قال ابن حجر: «وفيها ابتدأ الوباء بالإسكندرية في شوال واستمر إلى آخر السنة، ويقال: إنه كان يموت بها كلَّ يوم مائة وخمسون نفسًا»(٢).

وقال ابن تغري بردي: «وفيها كان الطاعون بالديار المصرية وضواحيها ومات فيها عالم كثير جدًّا»(٣).

* الفناء العظيم سنة (٨٣٣هـ):

قال ابن حجر: «في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة وهو أوسع هذه الطواعين وأقطعها، ولم يقع بالقاهرة ومصر، بعد الطاعون العام الذي كان

---

(١) إنباء الغُمر (٣٣/١)، وانظر: شذرات الذهب (٣٩٦/٨).

(٢) إنباء الغمر (٢١٩/١).

(٣) النجوم الزاهرة (٢٠٢/١١).

في سنة تسع وأربعين نظير هذا»[١].

وأطلق على هذا الطاعون (الفناء العظيم)؛ قال ابن تغري بردي: «وهذا الطاعون هو الفناء العظيم الذي حصل بالدّيار المصرية وأعمالها في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة»[٢].

ولم يكن في مصر وحدها، بل عمّ وطمّ العالم كله، ومات فيه آلاف البشر، حتى شمل موت الحيوانات، واستمرت آثاره إلى سنة ٨٣٥ والتي فيها خَرِب الشرق من بغداد إلى تِبريز[٣] من فَرط الغلاء وعمومه، حتّى أكلوا الكلاب والميتة.

قال ابن حجر وهو يصف سنة (٨٣٥هـ): «وفيها: اشتهر خراب الشرق من بغداد إلى تِبريز، وكثر الغلاء حتى بيع الرطل اللحم بنصف دينار، وأكلوا الكلاب والميتات، ثم فشا الوباء في العراق والجزيرة وديار بكر[٤]»[٥].

وقد خالف هذا الطاعونُ ما سبقه من أوبئة وطواعين في عدة أمور لخصها ابن حجر في قوله: «وخالف الطواعين الماضية في أمور كثيرة:

(١) بذل الماعون في فضل الطاعون (ص٣٦٩).

(٢) النجوم الزاهرة (١٤/٣٣٨).

(٣) تبريز من أشهر مدن إيران حاليا.

(٤) تقع حاليا ديار بكر في دولة تركيا.

(٥) إنباء الغمر (٣/٤٨١).

منها: أنه وقع في الشتاء وارتفع في الربيع، وكانت الطواعين الماضية تقع في فصل الربيع، بعد انقضاء الشتاء، وترتفع في أول الصيف.

ومنها: أن غالب من كان يموت بالطاعون يغيب عقله، وهذا غالب من يموت به يموت وهو يعقل، فيتحسر على نفسه، ويوقن بالموت، ولا يستطيع لنفسه نفعًا، ولا يستطيع أحد من أحبائه عنه دفعًا.

ومنها: أنه كثر النقل عن كثير منهم، أنه يخبر بمشاهدة خيرات تترى، ورؤيت له منامات حسنة، تشتمل على أنواع من البشرى، فلله الحمد»[١].

❊ وباء سنة (٨٣٩هـ):

وقع الوباء ببلاد كرمان[٢]، وفشا الطّاعون بِهَراة[٣]، حتّى قيل: إن عدّة من مات بهراة ثمان مئة ألف. وكذلك فشا الوباء في بلاد اليمن، وفي بلاد البربر والحبشة.

قال في إنباء الغُمر: «وفيها: وقع الوباء ببلاد كرمان، وفشا الطاعون بهراة؛ حتى سمعت «أقطعوه» الذي كان رسولًا إلى «شاه رخ» ملك الشرق يقول: إنه سمع وهو عند «شاه رخ» أن عدة من مات بهراة ثمان مائة

(١) بذل الماعون (ص٣٦٩).

(٢) تقع كرمان حاليا في دولة إيران.

(٣) تقع هراة حاليا في دولة أفغانستان.

ألف... وفي هذه السنة فشا الوباء في بلاد اليمن؛ سَهلها وجَبلها إلىٰ صَعدة وصنعاء، وفي مقابلها من بلاد برَّبر والحبشة والزَّنْج[(١)]... وفي بلاد الحبشة مات بسببه من لا يحصىٰ من المسلمين والنصارىٰ»[(٢)].

❋ وباء سنة (٩٠٩هـ) في مدينة زَبيد باليمن:

قال العَيْدَروس: «وفيها: حصل بمدينة زَبيد مرضٌ عظيم، ومات بسببه خلائقُ لا يحصَون، وكثر الوباء، واستمر الدعاء لذلك في الصلاة والخطب، ودام ذلك إلىٰ شهر ذي القعدة، واشتد في آخر شعبان ورمضان، فبلغ الموتىٰ فيه بزَبيد في كل يوم فوق ستين نفسًا، وكان غالبه في النساء والأطفال، وانتقل إلىٰ بَوادي زَبيد وحِيس وموزّع وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(٣)].

وتكررت المأساة بعدها بتسع سنوات في سنة (٩١٨هـ)، يقول العَيْدَروس: «وفيها: كثر الموت بمدينة زَبيد، وعم الوباء، وبلغت الموتىٰ فيها كلَّ يوم إلىٰ قريب مئة نفس، ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائقُ لا يحصَون»[(٤)].

---

(١) بلاد الزنج هم سكان جنوب شرق إفريقيا.

(٢) إنباء الغمر (٤/٢٤)، وانظر: شذرات الذهب (٩/٣٣٤).

(٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ٤٢).

(٤) النور السافر (ص: ٩٥).

❁ طاعون سنة (١٢٠٥هـ) في مصر:

قال الجبرتي: «وفيه: ابتدأ أمرُ الطاعون، وداخل الناسَ منه همٌّ عظيم... وفي شهر رجب زاد أمر الطاعون، وقوي عملُه بطول شهر رجب وشعبان، وخرج عن حدّ الكثرة، ومات به ما لا يحصى من الأطفال والشبان والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكُشّاف والأمراء... وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد الخمسة والستة والعشرة.

وازدحموا على الحوانيت في طلب العِدد والمغسّلين والحمّالين، ويقف في انتظار المغسّل أو المغسّلة الخمسة والعشرة، ويتضاربون على ذلك.

ولم يبق للناس شغل إلا الموت وأسبابه؛ فلا تجد إلا مريضًا أو ميتًا أو عائدًا أو معزيًا أو مشيعًا، أو راجعا من صلاة جنازة أو دفن، أو مشغولًا في تجهيز ميت، أو باكيًا على نفسه موهومًا، ولا تبطّل صلاة الجنائز من المساجد والمصليات، ولا يصلي إلا على أربعة أو خمسة أو ثلاثة.

وندر جدًّا من يشتكي ولا يموت، وندر أيضا ظهورُ الطعن، ولم يكن بحمى؛ بل يكون الإنسان جالسًا فيرتعش من البرد فيدثر فلا يفيق إلا مخلّطا، أو يموت من نهاره أو ثاني يوم، وربما زاد أو نقص أو كان بخلاف ذلك... واستمر عمله إلى أوائل رمضان، ثم ارتفع[١].

---

(١) عجائب الآثار (٣/٤٣٤).

* الطاعون بمصر والشام سنة (١٢١٥هـ):

قال الجبرتي: «ومنها: وقوع الطاعون بمصر والشام، وكان معظم عمله ببلاد الصعيد، أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار المصري نزيل أسيوط مكاتبة، ونصه: ونعرّفكم يا سيدي أنه قد وقع في قُطر الصعيد طاعونٌ لم يُعهد، ولم نسمع بمثله، وخصوصًا ما وقع منه بأسيوط، وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقًا وغربًا، وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله؛ وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد، وكان أكثره في الرجال، سيما الشبان والعظماء، وكل ذي منقبة وفضيلة، وأُغلقت الأسواق، وعزّت الأكفان، وصار المعظَمُ من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد، حتى إن الإنسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام، ويتعطل الميتُ في بيته من أجل تجهيزه، فلا يوجد النعشُ ولا المغسّل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة، وإن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه مازاد على عشرة أنفار تُكترى، وماتت العلماء والقرّاء والملتزمون والرؤساء وأربابُ الحرف.

وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة حتى بلغ النهاية القصوى فكان يموت كلَّ يوم من أسيوط خاصة زيادةً على الست مئة، وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو

مريضًا أو مشتغلًا بتجهيز ميت، ولا يسمع إلا نائحة أو باكية، وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة؛ لموت أرباب الوظائف، واشتغال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز والسبح والسهر. وتعطل الزرع من الحصاد، ونشف على وجه الأرض، وأبادته الرياح، لعدم وجدان من يحصده، وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس»[١].

* الوباء العام سنة (١٢٤٦هـ)

قال البيطار: «الوباء العام الواقع سنة ١٢٤٦ ألف ومئتين وست وأربعين؛ الذي مات فيه خلائق لا يحصون عددًا من الحُجّاج؛ حيث انتهى الأمر إلى العجز عن دفن الأموات، وخَلَت في تلك السنة بيوتٌ كثيرة في جدة ومكة من أهاليها؛ بحيث لم يبق فيها أحدٌ، وتُركت أموالٌ عظيمة لا يُدْرَى من يستحقها من الورثة.

وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة فكان يموت كلَّ يوم أكثرُ من ألف، وخلا كثير من القرى؛ بحيث لم يبق فيها إلا المواشي والأموال.

ولا يزال ينتقل هذا الوباء في النواحي والأقطار، والقرى والأمصار، حتى عم البلاد الشامية والمصرية، والتركية والعربية»[٢].

(١) عجائب الآثار (٥/١٣١).

(٢) حِلْية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص: ١٦١١).

وهذا الوباء العام هو وباء (الكوليرا)، والذي يأتي الحديث عنه في الفقرة التالية.

❊ وباء (الكوليرا) في العصر الحديث:

وباء (الكوليرا) هو طاعون العصر الحديث؛ حيث حصد أرواح ملايين البشر في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وقد بدأ الوباء في ولاية البنغال، ثم انتشر في جميع أنحاء الهند بحلول عام ١٨٢٠م، وقُدّرت حالات الوفاة في الهند بين عام ١٨١٧ وعام ١٨٦٠م بأكثر من ١٥ مليون شخص.

ولقي ٢٣ مليون إنسان حتفَهم بين عام ١٨٦٥ وعام ١٩١٧م، على مستوى العالم في كل بلاد الدنيا.

وفي عام ١٨٤٦م، انتشر الكوليرا في مكة المكرمة، مما أسفر عن مقتل أكثر من خمسة عشر ألف شخص، وفي عامي ١٩٠٧، ١٩٠٨م: مات أكثر من عشرين ألف حاجّ في موسم الحج[1].

أما القُطر المصري على وجه الخصوص: فهناك محاضرة نادرة تعود لعام ١٩٤٨م، نشرتها وزارة المعارف، للدكتور سيف النصر أبو ستيت[2]، يتحدث

(١) انظر للكلام عن الكوليرا موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية (ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) وقد أعادت نشرها بوابة الأهرام الإلكترونية بتاريخ ٢٠١٩/١١/٢٧م.

فيها عن تاريخ الأوبئة في مصر وخاصة وباء الكوليرا؛ حيث ذكر أن غالبية القوانين الصحية كانت في الأصل للتصدّي للكوليرا تحديدًا، كما أنها السبب المباشر لإنشاء مجلس الصحة العمومي الذي أصبح الآن (وزارة الصحة).

وقد ذكر أن الكوليرا ضربت مصر عشر مرات في تاريخها الحديث أعوام: ١٨٣١و ١٨٣٤ و ١٨٥٠ و ١٨٥٥ و ١٨٦٥ و ١٨٨٣ و ١٨٩٥ و ١٩٠٢ و ١٩٤٧م.

وأشد هذه الأعوام:

في عام ١٨٣١م تسبب وباء الكوليرا في مقتل ١٥٠ ألف شخص في مصر.

وفي عام ١٨٦٥م تسبب في وفاة ٦٠ ألفا من السكان في أقلَّ من ٣ أشهر من شهور الصيف.

وفي عام ١٨٨٣م قُدّر عدد الذين ماتوا في الوجه البحري بمصر بنحو ٣٦ ألف مواطن.

وفي عام ١٩٠٢م ضرب الوباء قرية موشا بأسيوط، وأدى لموت أكثرَ من ٣٤ ألفًا.

وقد انتهي وباء موشا عام ١٩٠٢م ليختفيَ ويعاودَ الظهور مرة أخرى

عام ١٩٤٧م.

*** الإنفلونزا الإسبانية سنة ١٩١٨م: أكبر وباء في تاريخ البشرية:**

صنفتها منظمة الصحة العالمية بأنها: أشد فاشية مرضية حدثت في تاريخ البشرية؛ وذلك لأنها تسببت في موت ما يقرب من خمسين مليون إنسان في أنحاء العالم، وقد انتشرت سنة ١٩١٨م في أعقاب الحرب العالمية الأولى في أوروبا والعالم.

وكانت الغالبية العظمى من ضحايا هذا الوباء من البالغين واليافعين الأصحّاء بعكس ما يحصل عادة من أن يستهدف الوباء كبار السن والأطفال والأشخاص المرضى أو ضعيفي المناعة.

وعلى الرغم من تسمية الوباء بـ «الإنفلونزا الأسبانية» إلا أنه لم يصدر من أسبانيا، ويرجع سبب التسمية إلى انشغال وسائل الإعلام الأسبانية بموضوع الوباء نتيجة لتحررها النسبي مقارنة بالدول المشاركة في الحرب العالمية الأولى؛ فأسبانيا لم تكن جزءًا من الحرب، ولم يتمَّ تطبيقُ المراقبة على الإعلام الإسباني، ومن المفارقات أن الأسبان أطلقوا على العدوى اسم (الإنفلونزا الفرنسية)[١].

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية على (الإنترنت) www.who.int/ar»،
و: موسوعة (ويكيبيديا) الإلكترونية (ar.wikipedia.org/wiki).

المبحث الثالث

أحاديث إثبات العدوى ونفيها

العدوىٰ -كما قال الطيبي - هي: «مجاوزة العلة من صاحبها إلىٰ غيره. يقال: أعدىٰ فلان فلانا من خلقه أو من علة به. وذلك علىٰ ما يذهب إليه المتطببة في علل سبع: الجذام والجرب والجدري والحصبة والبخر والرمد والأمراض الوبائية»(١).

وقد جاءت أحاديث تقرر إثبات العدوىٰ ووقوعَها، وأحاديثُ أخرىٰ تنفيها:

فمن الأحاديث المثبتة لها: قولُه ﷺ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ(٢)»(٣). أي: لا يورِد صاحبُ الإبل المراض، إبلَه علىٰ إبل صاحب الإبل الصحاح،

(١) الكاشف عن حقائق السنن (٢٩٧٨/٩).

(٢) راء «يورد» و«ممرض» وصاد «مصح»: مكسورات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: لا هامة (ح ٥٧٧٠) (١٣٨/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورد ممرض علىٰ مصح ح١٠٤ - (٢٢٢١) (١٧٤٣/٤).

ولفظ «لا يورد» خبر بمعنىٰ النهي، بدليل رواية البخاري: «لا يورِدَنَّ ممرِضٌ علىٰ مُصِحّ» بلفظ النهي المؤكد[١].

ومن الأحاديث النافية لها: حديث أَبي هُرَيْرَةَ مرفوعًا: «لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِيرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[٢].

والنظر في مسألة العدوىٰ مما يتعلق بالبحث أشد تعلق لأنه يترتب عليه (الحجر الصحي) الآتي فيما بعد.

وقد اتجه العلماء اتجاهاتٍ ثلاثةً إزاء هذه النصوص؛ فمنهم من قال بالنسخ، ومنهم من قال بالترجيح، وجمهورهم سلك مسالك الجمع والتوفيق، وإليك التفصيل[٣]:

أولا: النسخ: وممن قال بذلك عيسىٰ بن دينار من المالكية وجماعة؛ فقد رأوا أن الأمر باجتناب المجذوم منسوخ . وقد نقل هذا القول القاضي عياض ورده قائلا: والصحيح الذي عليه الأكثر ويتعين المصير إليه أن لا

---

(١) انظر: فتح الباري (١/١٤٢)، عمدة القاري (٢١/٢٨٨)، إرشاد الساري (٨/٤١٠)، فتح المنعم (٨/٦٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: الجذام (ح ٥٧٠٧) (٧/١).

(٣) فتح الباري (١٠/١٦٨- ١٧٢)، وانظر: عمدة القاري (٢١/٢٤٧)، إرشاد الساري (٨/٣٧٤)، فتح المنعم (٨/٦٢٩).

نسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط، والأكل معه على بيان الجواز[١].

ثانيا: الترجيح: وقد سلكه فريقان:

أحدهما: سلك ترجيح الأخبار الدالة على نفي العدوى وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك.

ثانيهما: سلكوا في الترجيح عكس هذا المسلك، فردوا حديث لا عدوى، وقالوا : إن الأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج وأكثر طرقا فالمصير إليها أولى.

وأجاب الحافظ ابن حجر عليهما بأن طريق الترجيح لا يصار إليها إلا مع تعذر الجمع، وهو ممكن، فهو أولى[٢].

ثالثا: الجمع: وفيه مسالك:

١- نفي العدوى جملةً وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته[٣].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٤٢/٧)، وانظر: فتح الباري (١٦٨/١٠).
(٢) فتح الباري (١٦٩/١٠).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥٢/١)، وانظر: فتح الباري (١٦٩/١٠).

٢- حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء (لا عدوى) كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله؛ بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد، لكن القويّ اليقين لا يتأثر به، وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها، وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القَصعة وسائر ما ورد من جنسه، وحيث جاء (فِرَّ من المجذوم) كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه، ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى، فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سببا لإثباتها . وقد فعل هو ﷺ كلا من الأمرين ليتأسى به كل من الطائفتين[1].

٣- قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى، قال : فيكون معني قوله « لا عدوى » أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلا، قال : فكأنه قال لا يعدي شيء شيئا إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى . وقد حكى ذلك ابن بطال[2].

٤- أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء، بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة

(١) فتح الباري (١٠/١٦٩).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٤١٠).

والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة[١].

٥- العمل بنفي العدوى أصلًا ورأسًا، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة؛ لئلا يحدث للمخالط شيءٌ من ذلك فيظن أنه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عُبيد وتبعه جماعة كابن خُزيمة والطبري والطحاوي وهو ما رجّحه الحافظ ابن حجر[٢].

٦- أن هذِه الأمراضَ لا تُعدي بطبعها، لكن الله جعل مخالطةَ المريض بها للصحيح سببًا لإعدائه، وقد يتخلف ذلك عن سببه، كما في غيره من الأسباب. وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن الصلاح تبعًا للإمام البيهقي[٣].

وهو أنسب لتفسير الأمر باجتناب المخالطة بين المريض والصحيح.

قال العلامة أحمد شاكر: «وأقواها عندي المسلك الذي اختاره ابن الصلاح؛ لأنه قد ثبت من العلوم الطبية الحديثة أن الأمراض المعدية تنتقل

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص: ١٦٨).

(٢) شرح معاني الآثار (٤/٣١٠)، وانظر: نزهة النظر (ص ٧٦-٧٧).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص: ٢٨٥)، وانظر: تدريب الراوي (٢/٦٥٣)، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٩/٢٢).

بواسطة المكروبات، ويحملها الهواء أو البصاق أو غير ذلك، على اختلاف أنواعها، وأن تأثيرها في الصحيح إنما يكون تبعاً لقوته وضعفه بالنسبة لكل نوع من الأنواع، وأن كثيرًا من الناس لديهم وقاية خلقية تمنع قبولهم لبعض الأمراض المعينة، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال؛ فاختلاط الصحيح بالمريض سبب لنقل المرض وقد يتخلف هذا السبب»[١].

وقال العلامة الدكتور محمد أبو شَهبة: «وهذا المسلك هو أحسن المسالك وأولاها؛ لأنه لا ينفي العدوي أصالةً، ولكنه ينفي أن تكون مؤثرةً بذاتها، وهذا لا يتنافى مع ما وصل إليه الطب الحديث من كون العدوى أصبحت أمرًا مسلَّمًا، وفي الوقت ذاته فيه تصحيحٌ للعقيدة؛ وهو أن تأثير العدوى إنما هو بإرادة الله تبارك وتعالى، وإذا لم يرد الله تبارك وتعالى ذلك لم تحصل العدوى مع وجود الاختلاط بالمريض مرضًا معديًا، وليس أدلَّ على أن التأثير متوقفٌ على إرادة الله تعالى من أن بعض الناس يختلطون بأهليهم المرضى اختلاطًا يكاد يكون تامًّا، ومع ذلك لا يتعدَّى إليهم المرضُ»[٢].

٧- والذي أطمئن وأميل إليه هو ما حَرّره العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بقوله: «معنى هذا الحديث الشريف عندي: «لاعدوى» أي لا يُعدِ بعضكم بعضا، أي: ليمتنعْ صاحبُ المرض المعدِي عن مخالطة الأصحّاء،

(١) الباعث الحثيث (ص: ٣٥٦).

(٢) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص: ٤٤٥).

خشيةَ أن يُعديَهم بتقدير الله تعالىٰ. ولفظة «لا» هنا للنهي كقوله تعالىٰ: {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧]، أي: فلا يرفُثْ ولا يفسُقْ ولا يجادلْ في أثناء قيامه بالحج.

وكذلك لفظة «لا» ناهية فيما يأتي من قوله ﷺ: «ولا طِيَرة»، أي: لا تتطيروا وتتشاءموا بالطير، وقد كانت العرب في الجاهلية تتشاءم به فيصدهم عن مقاصدهم. «ولا هامة» أي: لا تتشاءموا بالهامة؛ وهي البُومة، أو ما كانت العرب تزعمه: أن القتيل إذا لم يؤخذ بثأره تصير روحه هامةً، فما تزال تقول: اسقوني، حتىٰ يؤخذ له بالثأر، فنهاهم الإسلام عن هذا الاعتقاد الباطل كله.

«ولا صفَر» أي: لا تتشاءموا بشهر صفر؛ إذ كان عليهم ثقيلَ الوطأة جدًّا، فقد كانوا يخرجون من الأشهر الحرم التي كانوا يمتنعون فيها عن القتال وشنِّ الغارات والأخذ بالثأر، إلىٰ شهر صفَر الذي يقع فيه القتل والقتال والنهب والسلب! فأورثهم ذلك أن يعتقدوا أن زمن شهر صفر شؤمٌ، فنهاهم الإسلام أن يعتقدوا ذلك، فالوقت من حيث هو وقتٌ لا يقتضي شؤمًا ولا ضررًا علىٰ الناس، وإنما الشؤم أي الضرر يأتي مما يصنعه الإنسان من السوءِ في ذلك الوقت، فالسيئ بصُنعه السوءَ: شؤمٌ علىٰ الزمان والوقت لا العكس.

وقوله ﷺ: «وفِرَّ من المجذوم كما تَفِرُّ من الأسد» هو من تمام الحديث نفسه، وليس هو حديثًا آخر كما يزعمه بعض العلماء، فيكون الحديث مرتبطًا أولُه بآخره تمامَ الارتباط.

فالرسول الكريم الحكيم ﷺ نهى المريض صاحبَ المرض المعدي أن يختلط بالناس؛ لئلا يُعديَهم فيؤذيهم بتقدير الله تعالى، كما أمر الصحيح أن يتجنب أسباب المرض والأذى بالعدوى، فيقي نفسه منها بتقدير الله تعالى.

وهذا المعنى موافقٌ تمامَ الموافقة للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعا: «لايوردن ممرض على مصح». ففيه نهيُ الرسول ﷺ صاحبَ الإبل المريضة أن يوردها على الإبل الصحيحة، وما ذلك إلا للعدوى بتقدير الله تعالى.

فالإسلام يقرر ثبوت العدوى في الحسيات، بل في المعنويات أيضًا:

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «الرجُلُ على دِينِ خَليلِهِ، فلينظر أحدُكُم من يُخالِلُ»[1]، رواه عن أبي هريرة: أبو داود والترمذي.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح ٨٤١٧) (١٤٢/١٤) قال: حدثنا أبو عامر.

وأبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: مَن يُؤمَر أن يُجالِسَ (ح٤٨٣٣) (٢٠٤/٧)، والترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب منه (ح ٢٣٧٨) (١٦٧/٤) قالا: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، وأبو داود، قالا: حدثنا زهير بن محمد قال: حدثني

وقال ﷺ: «لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا، ولا يأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقيٌّ»[1]،

موسىٰ بن وردان، عن أبي هريرة، فذكره.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وهو كما قال؛ من أجل: موسىٰ بن وردان فهو صدوق، كما في الكاشف (٣٠٩/٢)، والتقريب (ص: ٥٥٤).

ومحمد بن بشار: هو بندار، وأبو عامر: هو عبد الملك بن عمرو القيسي أبو عامر العقدي البصري الحافظ، وأبو داود: هو الطيالسي الحافظ. وزهير بن محمد: هو التميمي أبو المنذر الخراساني، وهو ثقة إلا في روايته عن الشاميين، انظر: التقريب (ص٢١٧)، الكاشف (٤٠٧/١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح١١٣٣٧) (٤٣٧/١٧) قال: حدثنا أبو عبد الرحمن.

وأبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: مَن يُؤمَر أن يُجالِسَ (ح٤٨٣٢) (٢٠٣/٧) قال: حدَّثنا عمرُو بنُ عَونٍ، أخبرنا ابنُ المبارَكِ.

والترمذي في سننه، أبواب: الزهد، باب: ما جاء في صحبة المؤمن (ح ٢٣٩٥) (١٧٨/٤) قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك.

والبغوي في شرح السنة (ح٣٤٨٤) (٦٨/١٣) قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبد الله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، نا عبد الله بن المبارك.

كلاهما (أبو عبد الرحمن وابن المبارك) عن: حيوة بن شريح قال: حدثني سالم بن غيلان، أن الوليد بن قيس التجيبي، أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري، قال سالم: أو عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، فذكره. والرواية هكذا بالشك ولا يضر لأن كليهما ثقة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه. وقال البغوي: هذا حديث حسن.

رواه عن أبي سعيد الخدري: أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم.

وقال ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1]، رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري. أي يجعلاه يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا بمخالتطه لهم»[2].

وهو كما قالا؛ وذلك من أجل: سالم بن غيلان، قال الذهبي: صدوق، وقال ابن حجر: ليس به بأس. انظر: الكاشف (٤٢٣/١)، التقريب (ص: ٢٢٧). ومن أجل: الوليد بن قيس: وثقه العجلي، وذكره بن حبان في الثقات، وقال الذهبي: وثق. انظر: الكاشف (٣٥٤/٢)، تهذيب التهذيب (١٤٦/١١).

وأخرجه بدون رواية الشك: ابن حبان في صحيحه، كتاب: البر والإحسان، باب: الصحبة والمجالسة (ح ٥٥٤) (٣١٤/٢) قال: أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسىٰ أخبرنا عبد الله.

والحاكم في المستدرك (ح ٧١٦٩) (١٤٣/٤) قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، رحمه الله تعالىٰ، ثنا حسام بن الصديق، ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ.

كلاهما: (عبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد) عن: حيوة بن شريح، عن سالم بن غيلان، عن الوليد بن قيس التجيبي، عن أبي سعيد الخدري فذكره.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ما قيل في أولاد المشركين (ح ١٣٨٥) (١٠٠/٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ح ٢٢ - (٢٦٥٨) (٢٠٤٧/٤).

(٢) تعليقات الشيخ أبي غدة علىٰ كتاب «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص ٤٧-٤٨).

وبهذا كله يتضح أن لا مخالفة بين شيء من النصوص النبوية الصحيحة، وأن لكل منها محلًّا تتنزل عليه، وسياقًا لا بد أن تُفهَم من خلاله، وإطارًا لا بد أن توضع فيه.

«فالعدوىٰ إذن حاصلة ولكنها بتقدير الله، وهذا أمر ينبغي أن لا يختلف فيه اثنان وهو الحق الذي يوفق بين سائر الأدلة، ولا يغير منه تطور العلم واكتشاف الجراثيم والبكتيريا الناقلة للأمراض شيئًا؛ لأن هذه الجراثيمَ إنما تعمل أيضًا بتقدير الله، والله يسلطها علىٰ من يشاء.

ومن واجبنا أن لا نلقي بأنفسنا إلىٰ التهلكة وأن نأخذ بالأسباب، ونتقي بما يحفظنا أصلا من هذه الأمراض، ثم إذا وقع المرض نصبر ونحتسب ونسلم بالمقدور، ونلتمس الدواء»[١].

(١) مقدمة تحقيق بذل الماعون (ص ٢٧).

المبحث الرابع

كيفية مواجهة الأوبئة في ضوء تعاليم السنة المشرفة

إن نموذجَنا المعرفيَّ الإسلامي في التعامل مع الابتلاءات والمحن الشخصية أو العامة: قائمٌ ومرتكزٌ على سلوك سبل الطب والوقاية والأخذ بالأسباب، وقبل ذلك وبعده التعلقُ بالباري سبحانه خالق هذا الكون ومدبره على أحكم نظام، والرجوعُ والأوبة إليه، والابتهالُ والدعاءُ آناء الليل وأطرافَ النهار أن يرفع البلوى ويكشفَ المحنة.

فالإيمان بالله تعالى والتعلقُ به هو الضمانةُ الوحيدة لراحة القلب واطمئنان الخاطر، عندما تموج المحن، وتنهمر الأحداث، وتدلهم الخطوب الجسام.

فكانت الابتلاءاتُ (الخاصة والعامة) بابًا عظيمًا من أبواب الافتقار إلى الله تعالى، واللجوء إليه، والخضوعِ بين يديه، وهي معانٍ جليلةٌ فخيمةٌ نسأل الله أن يفيض على قلوبنا من أنوارها وأسرارها.

من أجل هذا كله، كان من خصائص حضارتنا الإسلامية – التي

بنيت في أساسها على معين الهدي النبوي المعظَّم - ارتكازُها على السبل الطبية (علاجيًّا ووقائيًّا)، وفي الوقت ذاته على السبل الروحية بين العبد وربه سبحانه وتعالى، فهما صنوان لا يختلفان، وشقيقان لا يفترقان.

والذي يُنعم النظر في تعاليم السنة المشرفة في هذا الباب - أعني باب التعامل مع الأوبئة ومواجهتها - لَيجدُ أننا بإزاء مسلكين وسبيلين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر:

المسلك الأول: الجانب المادي؛ وهو مسلك الطب (الوقائي والعلاجي)، والأخذ بالأسباب.

المسلك الثاني: الجانب الروحي؛ وهو الدعاء والاستغفار والأوبة إلى الباري سبحانه وتعالى.

ولسوف أتناول في هذا المبحث - بشيء من التفصيل - الكلامَ عن هذين المسلكين في ضوء هدي النبوة، وما أرساه لنا نبينا المعظَّم ﷺ من أسس قامت عليها حضارةٌ إنسانية خالدة جمعت بين الأخذ بالأسباب المادية والحسية، وبين الاعتماد على الجانب الروحي الإيماني القائم على أنه لا يجري شيء إلا بقدر الله، ولا مؤثرَ في الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى.

وحديثي أولًا عن الجانب الطبي الوقائي والعلاجي، ليس من باب

تقديمه وأفضليته على المسلك الثاني – فكما ذكرت آنفًا أنهما لا ينفكُّ أحدُهما عن الآخر – بل من باب إبراز التعاليم النبوية وإظهارها وتقديمها للإنسانية كلها، وصوغِها صياغةً جديدة حديثةً في ضوء تقارير منظمة الصحة العالمية، والمراكز البحثية في العالم أجمع، فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول

الجانب المادي

وهو مسلك الطب (الوقائي والعلاجي) والأخذ بالأسباب:

أطبق خبراء المناعة على أن أفضل الوسائل لتطويق ما يدهم المجتمعات من أوبئة وأمراض معدية: النظافة الشخصية والعامة، وتطبيق الحجر الصحي في المجتمعات الموبوءة.

وإذا نظرنا إلى هذه الحالة الخاصة التي يعانيها العالم كله وهي وباء (كوفيد ١٩) الناتج عن انتشار فيروس كورونا المستجد: فسنجد أنه قد جاء في تقارير منظمة الصحة العالمية أن تدابير الحماية للجميع من هذا الوباء يتمثل في: النظافة الشخصية؛ بغسل اليدين، ووضع الكمامات الواقية على الأنف منعًا من تطاير الرذاذ أثناء العطس، والتباعد بين الناس وعدم التجمعات، وعدم المصافحة فيما بينهم، ولزوم المنزل للحماية أو عند حدوث أعراض محتملة وهو ما يطلق عليه العزل أو الحجر الصحي[1].

---

(١) انظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية على (الإنترنت) www.who.int/ar».

وإذا نظرنا إلىٰ هذه الإجراءات جميعها فسنجد أن تعاليم السنة المشرفة قد وفت بها وزيادة، وهذا ما أوضّحه في النقاط التالية:

١- الأمر بالتداوي والحث علىٰ البحث العلمي لاكتشاف الدواء:

من أول الإجراءات التي شرعها الإسلام ووجّهت إليها تعاليمُ السنة المشرفة عند حلول المرض والداء خاصًّا كان أو عامًّا: التوجهُ نحو البحث عن الدواء والعلاج أخذًا بالأسباب التي أقام الله تبارك وتعالىٰ عليها هذا الكون.

ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»(١).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رفعه: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

وعند أحمد وأصحاب السنن عن أسامة بن شَريك قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ نَتَدَاوَىٰ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِدًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا

(١) صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (ح ٥٦٧٨) (١٢٢/٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، ح٦٩ - (٢٢٠٤) (١٧٢٩/٤).

هُوَ؟ قَالَ: الهَرَمُ»[١].

قال ابن القيم: «وفي الأحاديث الصحيحةِ الأمرُ بالتداوي وأنه لا ينافي التوكلَ، كما لا ينافيه دفعُ داء الجوع والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقةُ التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلَها يقدحُ في نفس التوكل، كما يقدح في

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح ١٨٤٥٤) (٣٠/٣٩٤) قال: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة.

وأبو داود في سننه، كتاب: الطب، باب: الرجل يتداوىٰ (ح ٣٨٥٥) (٦/٥) قال: حدثنا حفص بن عمر النمري، حدثنا شعبة.

والترمذي في سننه، أبواب: الطب، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه (ح ٢٠٣٨) (٣/٤٥١) قال حدثنا بشر بن معاذ العقدي، قال: حدثنا أبو عوانة... وقال: حسن صحيح.

والنسائي في الكبرىٰ، كتاب: صفة الصلاة، باب: الأمر بالدواء (ح ٧٥١١) (٤/٣٦٨) قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعود ومحمد بن عبد الأعلىٰ قال ثنا خالد عن شعبة.

وابن ماجه في سننه، أبواب الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (ح٣٤٣٦) (٤/٤٩٧) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وهشام بن عمار، قالا: حدثنا سفيان بن عيينة.

ثلاثتهم (شعبة وأبو عوانة وسفيان) عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك، فذكره.

وهو إسناد صحيح؛ فجميعهم ثقات من رجال الشيخين.

الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلُها أنّ تركها أقوىٰ في التوكل، فإنّ تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتمادُ القلب علىٰ الله في حصول ما ينفع العبدَ في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكلَه عجزًا»[١].

وقال القسطلاني: «ومِن ثَمّ عُلِم أن العلاج بالدواء، والاحتراز عن الوباء، والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل: واجب»[٢].

وقد فهم المسلمون هذه الأحاديث وحولوها إلىٰ برامج عمل وصناعة حضارة؛ «فكانت المستشفيات والصيدليات ومدارس الطب منتشرةً في العالم الإسلامي، وكانت مراكز العلاج في حضارتنا الإسلامية تهتم بالتشخيص والمعالجة، ولا تعتمد علىٰ الخرافات كما كان نظام الإغريق القديم.

ولأن القرآن الكريم يأمر المسلمين بفعل الخير وحسن المعاملة كانت المستشفيات في العالم الإسلامي تعالج كل الناس دون تمييز بين المسلمين وغيرهم، أو بين الفقراء والأغنياء، أو الرجال والنساء. وكانت أموال الأوقاف هي التي تمول كل هذه المستشفيات»[٣].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/١٤).

(٢) إرشاد الساري (٧/٩٦).

(٣) ألف اختراع واختراع وحقيقة مدهشة عن الحضارة الإسلامية (ص ٤٤).

وأول مستشفى أنشئ في العالم الإسلامي كان في بغداد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في سنة ٨٨هـ، بينما أُنشِئ أول مستشفى أوربي في باريس بعد ذلك بأكثر من تسعة قرون!!.

قال المقريزي: «وأوّل من بنى المارَستان[١] في الإسلام ودار المرضى: الوليد بن عبد الملك، وهو أيضا أوّل من عمل دار الضيافة، وذلك في سنة ثمان وثمانين، وجعل في المارستان الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذَّمين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق»[٢].

٢- الحَجْر الصحي:

يعَدُّ الحجر الصحي من أهم الوسائل للحَدِّ من انتشار الأمراض الوبائية في العصر الحاضر، وبموجبه يمنع أي شخص من دخول المناطق التي انتشر فيها نوع من الوباء، والاختلاط بأهلها، وكذلك

(١) المارستان: المستشفى. جاء في تاج العروس: «والمارستان، بفتح الراء: دار المرضى، وهو معرب، نقله الجوهري عن يعقوب. قلت: وأصله بيمارستان - بكسر الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء - ومعناه: دار المرضى، كما قاله يعقوب، قال: بيمار، عندهم هو المريض، وأستان بالضم: المأوى كما حققه موبذ السري، ثم خفف فحذفت الهمزة، ولما حصل التركيب أسقطوا الباء والياء عند التعريب، وقد نسب إليه جماعة من المحدثين». (١٦/٥٠٠)

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/٢٦٧).

يمنع أهل تلك المناطق من الخروج منها، سواء أكان الشخص مصابًا بهذا الوباء أم لا (١).

وهذه الوسيلة لمكافحة تفشي الأوبئة، أرشدتنا إليها السنة المشرفة فيما أخرجه الشيخان: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ عُمَرَ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا جَاءَ سَرْغَ(٢) بَلَغَهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» فَرَجَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ سَرْغَ(٣).

---

(١) بالنسبة لمرض (كوفيد ١٩): ذكرت منظمة الصحة العالمية أن: الحجر الصحي: هو تقييد حركة أو فصل الأفراد الأصحّاء الذين ربما تعرضوا لعدوى «COVID-19» عن بقية السكان، موضحةً أنه لا يتعين على المرضى المعزولين البقاء في منشأة صحية، ولكن يمكن أن يقيموا في أي مكان يتجنبون فيه الاتصال بالآخرين.

أما العزل الصحي: فهو فصل المرضى أو المصابين بالعدوى عن الأشخاص الأصحّاء، مشيرة إلى علاج المرضى، COVID-19 وتقييد حركتهم، ويتم تطبيقه لمنع انتشار الذين تم عزلهم في المرافق الصحية، ويتلقّون الرعايةَ الطبيةَ حسبَ الحاجةِ. انظر: (الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت « www.who.int/ar».

(٢) قرية قرب الشام.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون (ح ٥٧٣٠) (١٣٠/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: الطاعون

وقد جاءت هذه الرواية مفصَّلةً في قصة خروج سيدنا عمر بن الخطاب إلىٰ الشام في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة من الهجرة يتفقد فيها أحوال الرعية، وكان الطاعون المسمىٰ بطاعون (عَمَواس)، وفيها تشاوُره مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

ففي الصحيحين أيضا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ[١]، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نَرَىٰ أَنْ تُقْدِمَهُم[٢] عَلَىٰ هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي.

ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الْأَنْصَارِ، فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا

والطيرة والكهانة ونحوها، ح١٠٠ - (٢٢١٩) (١٧٤٢/٤).

(١) خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، وكان عمر قسّم الشام أجنادًا: الأردن جند، وحمص جند، ودمشق جند، وفلسطين جند، وقنَّسرين جند، وجعل علىٰ كل جند أميرًا.

(٢) أي: لا نرىٰ أن تجعلهم قادمين.

سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي.

ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَىٰ عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَىٰ ظَهْرٍ[١]، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ[٢] - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ - نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَىٰ قَدَرِ اللهِ[٣]، أَرَأَيْتَ[٤] لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ[٥]، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَىٰ جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ.

قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ

---

(١) أي: مسافر في الصباح راكبًا على ظهر الراحلة راجعًا إلى المدينة.

(٢) والمعنى أن غيرك ممن لا فَهم له إذا قال ذلك يعذر.

(٣) أطلق عليه فرارًا لشبهه به في الصورة وإن كان ليس فرارًا شرعيًّا، والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهي عنه، ولو فعل لكان من قدر الله وتجنبه مما يؤديه مشروع وقد يقدر الله وقوعه فيما فرّ منه فلو فعله أو تركه لكان من قدر الله.

(٤) أي: أخبرني.

(٥) بضم العين وكسرها وسكون الدال: أي شاطئان وحافتان.

حَاجَتِهِ[١]، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ[٢] بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ[٣] ثُمَّ انْصَرَفَ[٤].

قال العلامة الدكتور موسىٰ شاهين لاشين: «الصحيح أن علة النهي عن القدوم عليه: التحرزُ من العدوىٰ؛ فإن السليم إذا دخل أرض وباء مُعدٍ، لَعرّض نفسه للعدوىٰ والإصابة. والنهيُ عن خروج من وقع الطاعون بأرض هو بها: عدمُ نقل العدوىٰ من مكان الوباء إلىٰ غيره، ومنع انتشاره، وهذا هو المعروف في عرف الطب في أرقىٰ العصور بالعزل الصحي، أو الحجر الصحي؛ أي: محاصرة المرض المعدي في أضيق حدوده، وهذا لا يتعارض مع الإيمان بالقضاء

---

(١) لم يشهد معهم المشاورة المذكورة.

(٢) أي: بالطاعون.

(٣) علىٰ موافقة اجتهاده واجتهاد معظم الصحابة حديث رسول الله ﷺ. وانظر في كل ما سبق بيانه وتوضيحه من معانٍ وغريب: إرشاد الساري (٣٨٥/٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون (ح ٥٧٢٩) (١٢٩/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح٩٨ - (٢٢١٩) (١٧٤٠/٤).

والقدر، ولا مع أن العدوىٰ لا تؤثر بنفسها، بل بإرادة الله تعالىٰ[١].

ويتقررُ بما حررناه هنا: تأصيلُ مسألة (الحجر الصحي) من عيون النصوص النبوية الشريفة، وأنه من الأشياء التي كافحت بها الشريعة وواجهت من خلالها الأوبئةَ علىٰ مر العصور. نسأل الله العافية في الدين والدنيا وفي الآخرة.

٣- تعليق الجمع والجماعات في المساجد:

ترتب علىٰ مبدأ الحجر الصحي، والعزل بين الناس في وقت الوباء: النظرُ في تجمع الناس في الصلوات والجمع في المساجد، فذهب إلىٰ «القول بجواز تعطيل المساجد في الجمع والجماعات، مع الإبقاء علىٰ رفع الأذان، شعيرة الإسلام: جمهور الفقهاء المعاصرين، من غالب المجامع الفقهية، وهيئات الفتوىٰ الكبرىٰ، مثل: هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، والمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، والمجلس العلمي الأعلىٰ بالمغرب، واللجنة الوزارية للإفتاء بالجزائر، وهيئة الفتوىٰ بدولة الكويت، ومجلس الإفتاء بالإمارات، والمجمع الفقهي العراقي لكبار العلماء للدعوة والإفتاء، ولجنة الإفتاء بدائرة الإفتاء بالأردن،

---

(١) فتح المنعم (٨/ ٦٠٠).

والمجلس الإسلامي للإفتاء في الداخل الفلسطيني، وفتوى أساتذة كلية الشريعة بجامعة قطر»[١].

وقد ترتب على ذلك إغلاقُ الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، والجامع الأزهر بمصر، وما دون ذلك من المساجد والزوايا في شتى بقاع الأرض وأصقاعها التي حلّ بها الوباء، وقايةً من انتشار الوباء وازدياده بين الناس.

«وقد استندوا إلى عدة أدلة، من أهمها:

الاستناد إلى فقه الأعذار، فالشريعة التي أباحت التخلف عن صلاة الجماعة لأعذار كالمرض والمطر وغيرهما، وهي أقل بكثير من خطر انتشار عدوى الكورونا.

كما استندوا في هذا إلى عموم النصوص القرآنية والنبوية القائمة على التيسير ورفع الحرج، وكذلك النصوص التي تدل على جواز الترخص في ترك الجماعات.

وكذلك القياس على اعتزال المساجد لمن كانت رائحة فمه كريهة، كمن أكل ثوما أو بصلا، فيكون من باب قياس الأولى ترك

---

(١) فتاوى العلماء حول فيروس كورونا (ص ٨).

الجماعات لما هو أخطر، الذي هو فيروس كورونا.

كما استندوا في ذلك إلى الترجيح المقاصدي، اعتمادًا على قواعد مقاصد الشريعة، فحفظ النفس من الموت أو الهلاك من الضرورات، وإقامة الجماعة في المسجد من تكميلي ضروري الدين، فيقدم ضروري النفس على تكميلي الدين. وغير ذلك من الأدلة التفصيلية التي ينتهي بها القول إلى جواز بل وجوب تعطيل المساجد والجمع والجماعات بلا حرج»[١].

وسأعرض هنا نص بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، في هذه النازلة التي ألمّت بمصر والإنسانية كلها، والذي يتضح من خلاله كيف أن الشرع الشريف به من النصوص والتفسيرات التي تجعل هذه الشريعة ضامنةً لسعادة الناس في الدارين.

قال البيان: «ففي ضوء ما تسفر عنه التقارير الصحية المتتابعة من سرعة انتشار (فيروس كورونا - كوفيد ١٩) وتحوُّله إلى وباء عالمي، ومع تواتر المعلومات الطبية من أن الخطر الحقيقي للفيروس هو في سهولة وسرعة انتشاره، وأن المصاب به قد لا تظهرُ عليه أعراضُه، ولا يَعْلم أنه مصاب به، وهو بذلك ينشر العدوى في كل

(١) المرجع السابق (ص ٩).

مكان ينتقل إليه.

ولما كان من أعظم مقاصد شريعة الإسلام حفظُ النفوس وحمايتُها ووقايتُها من كل الأخطار والأضرار.

فإنَّ هيئة كبار العلماء - انطلاقًا من مسؤوليتها الشرعية - تحيط المسؤولين في كافة الأرجاء علمًا: بأنه يجوز شرعًا إيقافُ الجُمَعِ والجماعات في البلاد؛ خوفًا من تفشِّي الفيروس وانتشاره والفتك بالبلاد والعباد.

كما يتعيَّن وجوبًا على المرضى وكبار السن: البقاءُ في منازلهم، والالتزامُ بالإجراءات الاحترازية التي تُعلن عنها السلطات المختصة في كل دولة، وعدمُ الخروج لصلاة الجمعة أو الجماعة؛ بعدما تقرر طبيًّا، وثبت من الإحصاءات الرسمية انتشارُ هذا المرضِ وتسبُّبه في وَفَيات الكثيرين في العالم، ويكفي في تقدير خطر هذا الوباء غلبة الظن والشواهد: كارتفاع نسبة المصابين، واحتمال العدوى، وتطور الفيروس.

هذا.. ويجب على المسؤولين في كل دولةٍ بذلُ كل الجهود الممكنة، واتخاذُ الأساليب الاحترازية والوقائية لمنع انتشار الفيروس؛ فالمحققون من العلماء متفقون على أنَّ المتوقَّعَ القريبَ كالواقع، وأن ما يقاربُ الشيءَ يأخذُ حكمَه، وأنَّ صحة الأبدان من أعظم المقاصد والأهداف في الشريعة الإسلامية.

والدليل على مشروعيَّة تعطيل صلاة الجمعة والجماعات وإيقافهما؛ تلافيًا لانتشار الوباء: ما روي في الصحيحين: «أن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ قال لِمُؤَذِّنِهِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ: إِذَا قُلْتَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَلاَ تَقُلْ حَيّ عَلَى الصَّلاَةِ، قُلْ: صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ، فَكَأَنَّ النَّاسَ اسْتَنْكَرُوا، قَالَ: فَعَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، إِنَّ الْجُمُعَةَ عَزْمَةٌ[1]، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُحْرِجَكُمْ، فَتَمْشُونَ فِي الطِّينِ وَالدَّحَضِ[2]»[3].

فقد دل الحديثُ على الأمر بترك الجماعات تفاديًا للمشقة الحاصلة بسبب المطر، ولا شك أن خطر الفيروس أعظمُ من مشقَّة الذَّهاب للصلاة مع المطر، فالترخُّص بترك صلاة الجمعة في المساجد عند حلول الوباء ووقوعه أمر شرعي ومُسلَّم به عقلًا وفقهًا، والبديل الشرعي عنها أربع رَكعات ظهرًا في البيوت، أو في أي مكان غير مزدحم.

هذا.. وقد انتهى الفقهاءُ إلى أنَّ الخوف على النفس أو المال أو الأهل أعذارٌ تُبيح ترك الجمعة أو الجماعة؛ لما رواه أبو داود عن ابن عباس من قول

(١) بفتح العين وسكون الزاي، أي واجبة. انظر: إرشاد الساري (١٧١/٢).

(٢) الدحض هو: الزلق، كما في النهاية (١٠٤/٢)، والزلق هو: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم لملاسته. كما في المعجم الوسيط (٣٩٨/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب الرخصة إن لم يحضر الجمعة في المطر (ح ٩٠١) (٥/٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الصلاة في الرحال في المطر، ح ٢٦ - (٦٩٩) (٤٨٥/١).

النبي ﷺ: «مَنْ سَمِعَ المنادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنَ اتِّبَاعِهِ، عُذْرٌ»، قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: «خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى»(١).

وما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْض فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»(٢).

وقد نهى النبي ﷺ مَن له رائحةٌ كريهة تُؤذي الناس أن يُصلي في المسجد؛ منعًا للإضرار بالناس، فقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في ترك الجماعة (ح ٥٥١) (٤١٣/١) قال: حدَّثنا قُتيبةُ، حدَّثنا جَرير، عن أبي جَنَابٍ، عن مَغراءَ العَبديِّ، عن عَديّ بن ثابت، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس مرفوعا.

وأخرجه من طريق أبي داود: الدارقطني في سننه (١٥٥٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٥/٣) بهذا الإسناد.

وهو إسناد ضعيف؛ من أجل أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي، قال النسائي وغيره: ليس بالقوي، وقال ابن حجر: ضعفوه لكثرة تدليسه. انظر: الميزان (٣٧١/٤)، التقريب (ص: ٥٨٩)، الكاشف (٣٦٤/٢).

وصحح وقفه: عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الوسطى»، وأقره عليه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٢٧٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحيل، باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون (ح ٥٧٣٠) (١٣٠/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح١٠٠ - (٢٢١٩) (١٧٤٢/٤).

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أكل ثومًا أو بصلًا، فليعتزلْنا – أو قال: فليعتزل مسجدنا – وليقْعُدْ في بيته»[1]. وما ورد في الحديث ضررٌ محدود، سرعانَ ما يزولُ بالفراغ من الصلاة، فما بالنا بوباءٍ يَسهُل انتشاره! ويتسبَّب في حدوث كارثةٍ قد تخرج عن حدِّ السيطرة عليها، ونعوذ بالله من ذلك.

والخوف الآن حاصلٌ بسبب سرعة انتشار الفيروس، وقوَّة فتكه، وعدم الوصول إلى علاج ناجع له حتى الآن، ومِن ثَمَّ فالمسلمُ معذورٌ في التخلُّف عن الجمعة أو الجماعة.

وعليه: فتنتهي هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف إلى القول بأنه يجوز شرعًا للدولة متى رأت أن التجمُّع لأداء صلاة الجمعة أو الجماعة سوف يُؤدِّي إلى انتشار هذا الفيروس الخطير أن تُوقفهما مؤقتًا.

وتُذكِّر الهيئة هنا بثلاثة أمور:

الأول: وجوب رفع الأذان لكل صلاة بالمساجد، في حالة إيقاف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث (ح ٨٥٥) (١/١٧٠)، ومسلم في صحيحه،كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، ح٧٣ - (٥٦٤) (١/٣٩٣).

الجمعة والجماعات، ويجوز أن يُنادِي المؤذن مع كل أذان: (صلوا في بيوتكم).

الثاني: لأهل كل بيت يعيشون معًا أداءُ الصلاة مع بعضهم بعضًا في جماعة؛ إذ لا يلزم أن تكون الجماعة في مسجد حتى إعلان زوال حالة الخطر بإذن الله وفرجه.

الثالث: يجب شرعًا على جميع المواطنين الالتزامُ بالتعليمات والإرشادات الصادرة عن الجهات الصحية للحدِّ من انتشار الفيروس والقضاء عليه، واستقاء المعلومات من المصادر الرسمية المختصة، وتجنُّبُ ترويج الشائعات التي تُروِّعُ الناس، وتوقعُهم في بلبلة وحَيرة من أمرهم.

وتدعو هيئة كبار العلماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى المحافظة على الصلاة والتضرع إلى الله -تعالى- بالدعاء، ودعمِ المرضى ومساعدتهم، والإكثار من أعمال البر والخير؛ من أجل أن يرفع الله البلاء عن العالم، وأن يحفظ بلادنا والناس جميعًا من هذا الوباء، ومن جميع الأمراض والأسقام، إنه خير مسؤول، وأعظم مأمول. فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»[١].

---

(١) صدر في يوم الأحد ١٥/٣/٢٠٢٠م، وانظر: الصحة الرسمية لهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، على فيسبوك، ونشرته مجلة الأزهر في عددها الصادر في رمضان ١٤٤١هـ/مايو ٢٠٢٠م، (ص١٤٧٣) ج ٩/السنة ٩٣.

٤- التباعد الجسدي (الاجتماعي):

أشارت منظمة الصحة العالمية إلىٰ «أهمية اتباع الأفراد في أي تجمّع إجراءات التباعد الجسدي، والحفاظ علىٰ مسافر متر واحد علىٰ الأقل وفي جميع الأوقات، ويتأكد ذلك بينك وبين أي شخص يسعل أو يعطس؛ لأنه تتناثر من أنفه أو فمه قُطيرات سائلة صغيرة قد تحتوي علىٰ الفيروس، فإذا كنت شديد الاقتراب منه يمكن أن تتنفس هذه القُطيرات، بما في ذلك الفيروس المسبب لمرض كوفيد-١٩ إذا كان الشخص مصابًا به»(١).

وإذا تأملنا التعاليم النبوية فسنجد سبق الإسلام إلىٰ نظم الوقاية من الأمراض المعدية والاحتراز من تفشيها وانتشارها؛ منعًا للضرر، ودفعًا للأذىٰ، ورفعًا للحرج؛ وأن فكرة التباعد الجسدي عن ذوي الأمراض المعدية موجود أصلها في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة: «فِرَّ مِنَ المجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»(٢).

وعن علي بن أبي طالب مرفوعا: «لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَىٰ الْمُجَذَّمِينَ، وَإِذَا كَلَّمْتُمُوهُمْ، فَلْيَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِيدُ رُمْحٍ»(٣).

---

(١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية (www.who.int/ar).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الله في زوائده على المسند (ح ٥٨١) (٢/٢٠)، وأبو يعلىٰ في مسند (٦٧٧٤) (١٢/١٤٥)، من طريق: فرج بن فضالة، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن

والنهي عن المخالطة لمريض الجذام آنذاك؛ لأنه كان من العلل المعدية بحسب العادة الجارية عند بعض الناس[١]؛ فيدخل فيه ما كان في معناه من الأمراض المُعدية، ويكون ذلك أصلًا في نفي كل ما يحصل به الأذى، أو تنتقل به العدوى.

٥- عدم المصافحة منعًا لنقل العدوى:

ومن الإجراءات التابعة للتباعد الجسدي التي نصحت بها منظمة الصحة العالمية: الالتزام بالتسليم عن بُعد دون ملامسة الأيدي أو التقبيل؛ وقد اتخذ مثلَ هذا الإجراء النبيُّ ﷺ مع رجل مجذوم فعلَّمنا عليه الصلاة والسلام (عدم المصافحة منعًا لنقل العدوى).

وذلك فيما أخرجه مسلم من حديث عمرو بن الشَّريد الثقَفي عن أبيه قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ

عثمان، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها حسين بن علي، عن علي مرفوعا. إلا أنه عند أبي يعلى من مسند الحسين؛ ففيه بذلك اضطراب.

وهو إسناد ضعيف من أجل: فرج بن فضالة بن النعمان التنوخي، أبو فضالة الشامي، قال الذهبي: ضعفه الدارقطني وغيره وقواه أحمد، وقال ابن حجر: ضعيف. انظر: الكاشف (٢/١٢٠)، التقريب (ص: ٤٤٤).

(١) انظر: المهيأ في كشف أسرار الموطأ (٢/٤٣٧).

فَارْجِعْ»[١].

وقد جاء النهي عن مصافحة المُصاب بمرضٍ معدٍ؛ كالمجذوم والأبرص ونحوهما؛ حتىٰ لا تتسبب في انتقال العدوىٰ من المريض إلىٰ المُصحِّ، وقد نهت الشريعة الغراء عن ذلك الفعل؛ صيانة للأرواح، وأخذًا بأسباب النجاة.

ويزداد النهي ويتأكد في حالات الوباء التي انتشر فيها المرض وتفشَّىٰ.

قال شراح الحديث: «من الثابت الذي لا يقبلُ الشك، أن بعض الأمراض تنتقل من جسم المريض إلىٰ جسم السليم، بسبب المخالطة بينهما، عن طريق جراثيم «ميكروبات» وهي كائنات حية صغيرة، لا ترىٰ بالعين المجردة، ولكل مرض «ميكروب» خاصٌّ به، وطريقةٌ ينتقل بها من المريض إلىٰ السليم، بعضها ينتقل عن طريق الهواء بدون ملامسة، كما ينتقل تلقيحُ الأنثىٰ من طلع النخل بطلع الذكر القريب، وقد يكثر المرض والميكروب، فيفسد الهواء في منطقة واسعة، فيصيب العامة، مما يعرف بالوباء، وبعضها ينتقل بملامسة السليم للمريض، وبعضها ينتقل باستعمال أدوات المريض، وبعضها ينتقل عن طريق اتصال دم المريض بدم السليم، أو اتصال مخاطه، أو اتصال ماء شهوته»[٢].

(١) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب اجتناب المجذوم ونحوه، ح١٢٦ - (٢٢٣١) (٤/١٧٥٢).

(٢) انظر: فتح المنعم (٨/٦١٥)، المنهاج (١٤/٢٢٨).

ولا يتعارض ذلك مع الحثِّ على المصافحة باليد بين المسَلِّمين، وأنها من السنن المجمع عليها؛ إتمامًا للتحية وإظهارًا للمودة؛ وسببًا في المغفرة.

لأنَّ ذلك كله إنما يحدث في الحالات الطبيعية التي يأمن فيها الإنسان الإصابة من الأمراض المعدية، أما عند وجود المرض فينبغي للإنسان أن يتجنبها، ويكتفي في التحية بإلقاء السلام بالقول المأمور به؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، وقوله سبحانه: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ [الذاريات: ٢٥]

وكما في الحديث القدسي الشريف: أن الله تعالى قال لآدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام: «اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ»[١].

وهذا القدر من التحية هو الأصل في السلام المأمور به، والذي أراد الشرع إفشاءه بين العالمين؛ ليحصل به الأمان والمؤانسة، ويزداد به الإيمان،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته (ح ٣٣٢٦) (١٣١/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ح٢٨ - (٢٨٤١) (٢١٨٣/٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وتترسخ به معاني المحبة والوئام.

٦- النظافة:

إن الإسلام دين يحض على النظافة؛ فجعل النبي ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»(١)، ودعا إلى النظافة بشتى أنواعها؛ كالنظافة العامة للشوارع والتي تمثلت في الإرشاد النبوي الحكيم الذي جعل: «إِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»؛ من شعب الإيمان(٢).

وكذلك النظافة الشخصية للإنسان في بدنه وثوبه ونعله وشأنه كله، وأولها وأولاها في هذا المقام الذي نحن فيه، (غسل اليدين)؛ فجاءت السنة المشرفة لتنبه الإنسان وتعوّدَه على هذا السلوك أكثر من مرة، وفي عدة مواضعَ كلَّ يوم.

فمنها: غسل اليدين في الوضوء، وهذا جلي واضح في شعيرة يومية يمارسها الإنسان المسلم خمس مرات يوميا، وربما تقل قليلًا إذا صلى أكثر من صلاة بوضوء واحد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، ح١ - (٢٢٣) (١/٢٠٣)، من حديث: أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان ح٥٨ - (٣٥) (١/٦٣)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها: غسل اليدين فور الاستيقاظ من النوم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّىٰ يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»[1].

ومنها: غسل اليدين قبل الأكل وبعده؛ فعَنْ سَلْمَانَ الفارسي أنه قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ: بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ بَعْدَهُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ فَقَالَ: «بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب الاستجمار وترًا (ح ١٦٢) (٤٣/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثا، ح ٨٧ - (٢٧٨) (٢٣٣/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (ح ٢٣٧٣٢) (١٣٥/٣٩) قال: حدثنا عفان.

وأبو داود في سننه، كتاب:الأطعمة، باب: غسل اليد عند الطعام (ح٣٧٦١) (٥٨٦/٥)، قال: حدَّثنا موسى بنُ اسماعيل.

والترمذي في سننه، أبواب: الأطعمة، باب: ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده (ح١٨٤٦) (٣٤٥/٣) قال: حدثنا يحيى بن موسى، قال: حدثنا عبد الله بن نمير. (ح) وحدثنا قتيبة، قال: حدثنا عبد الكريم الجرجاني.

جميعهم (عفان وموسى وابن نمير وعبد الكريم) عن: قيس بن الربيع، حدثنا أبو هاشم، عن زاذان، عن سلمان فذكره.

والإسناد ضعيف؛ من أجل: قيس بن الربيع. قال الترمذي: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع، وقيس بن الربيع يضعف في الحديث، وأبو هاشم الرماني اسمه

٧- منعُ تطاير الرَّذَاذ أثناء العطس:

اذا كانت منظمة الصحة العالمية قد أوصت بوضع الكمامات الواقية على الأنف منعًا من تطاير الرذاذ أثناء العطس، فإننا نستطيع القول أن تلك الحماية قد كفلتها السنة النبوية عندما وضعت حُزمة إجراءات للعاطس، تعوَّدْنا أن نطلق عليها في نموذجنا المعرفي الإسلامي (آداب العاطس)، هذه الحُزْمة بينها لنا نبينا الكريم صلوات ربي وتسليماته عليه بصورة تطبيقية فقد كان يضع يده أو ثوبه على فيه أثناء العطس، حتى لا يتطاير الرذاذ فيؤذي من كان حاضرًا.

قال شيخ الإسلام ابن حجر: «ومن آداب العاطس: أن يخفض بالعطس صوته، ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه؛ لئلا يبدوَ من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه يمينا ولا شمالا لئلا يتضرر بذلك. قال ابن العربي: الحكمة في خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه إزعاجًا للأعضاء، وفي تغطية الوجه أنه لو بدر منه شيء آذى جليسه، ولو لوى عنقه صيانةً

يحيى بن دينار. وقال الذهبي: صدوق في نفسه، سيئ الحفظ. وقال ابن حجر: صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. انظر: الميزان (٣/٣٩٣)، التقريب (ص: ٤٥٧).

إلا أن المنذري قال: قيس بن الرّبيع صَدُوق وَفِيه كَلَام لسوء حفظه، لَا يخرج الْإِسْنَاد عَن حد الْحسن. الترغيب والترهيب (٣/١٠٩). والراجح ما قدمته، والله أعلم.

لجليسه، لم يأمن من الالتواء، وقد شاهدنا من وقع له ذلك. وقد أخرج أبو داود والترمذي بسند جيد عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ إذا عَطَسَ وَضعَ يَدَه - أو ثوبَهُ - علَىٰ فِيه وَخَفَضَ صَوْته[1]. وله شاهد من حديث

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح٩٦٦٢) (٤١٢/١٥).

وأبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في العُطَاس (ح ٥٠٢٩) (٣٧٥/٧) قال: حدَّثنا مُسَدَّدُ.

والترمذي في سننه، أبواب: الأدب، باب: ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس (ح٢٧٤٥) (٣٨٣/٤) قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَزِيرٍ الوَاسِطِيُّ.

ثلاثتهم (أحمد ومسدد وابن وزير) عن: يحيىٰ بن سعيد، عن ابن عجلان، قال: حدثني سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، فذكره.

وقال الترمذي: هذا حَديث حسن صحيح.

وهو إسناد جيد - كما قال الحافظ - من أجل محمد بن عجلان؛ قال الذهبي: وثقه أحمد وابن معين، وقال غيرهما: سيئ الحفظ، وقال ابن حجر: صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة. انظر: الكاشف (٢٠١/٢)، التقريب (ص: ٤٩٦).

وسُميّ هو: مولىٰ أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو صالح هو: ذكوان السمان الزيات المدني، وكلاهما من الثقات.

ابن عمر بنحوه عند الطبراني[١]»[٢].

٨- وضع اليد على الفم عند التثاؤب:

وكذلك وضع اليد على الفم عند التثاؤب ﷺ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»[٣]. وذكر الشيطان هنا المقصود به التنفير لا الحقيقة، وذلك حتى لا يتطاير شيء من الفم فيؤذي من كان أمامك، وبه يتجلى لك كيف أن الإسلام دين الإحساس المرهف المحافظ على مشاعر الآخرين[٤].

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ح٧٤٥٢) (٢٦٢/٧) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ، نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو، نَا مِنْدَلٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ خَمَّرَ وَجْهَهُ، وَخَفَضَ صَوْتَهُ».

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي ومندل بن علي، وقد وثقا، وضعفهما جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٥٦/٨).

(٢) فتح الباري (٦٠٢/١٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ح٥٧ - (٢٩٩٥) (٢٢٩٣/٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) وانظر: فتح المنعم (٦٠٤/١٠).

المطلب الثاني

الجانب الروحي

ويتمثل هذا الاتجاه في جانب العَلاقة المباشرة بين العبد وربه؛ من التوبة إلى الله تعالى، واللهج بالذكر والدعاء والاستغفار، وما إلى ذلك من كل شيء كان متمحّضًا للعمل الصالح.

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر عندما تحدث عما ينبغي فعلُه عند وقوع الوباء؛ فقال: «ومما ينبغي لكل أحدٍ المبادرةُ إليه: ردُّ المظالم، والتخلصُ من التبِعات، والتوبةُ من العَود إلى شيء من معصية الله، والندمُ على ما مضى من ذلك، والوصيةُ من غير أن يقع فيها حَيف أو جَنَفٌ. وهذا مطلوبٌ في كل وقت، ويتأكدُ عند وقوع الأمراض عمومًا، ولمن وقع به خصوصًا»[1].

وإليك عددًا من الإجراءات الروحية التي ينبغي أن يقوم بها المجتمع، عمومًا ودائمًا، وخصوصًا عند وقوع البلاء وتفشّيه:

---

(١) بذل الماعون (ص٣١٥).

١- الأوبة إلى الباري سبحانه وتعالى:

قال الحافظ ابن كثير وهو يصف حال الناس في وباء سنة ٧٤٩: «وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناسُ ثلاثةَ أيام، وأن يخرجوا في اليوم الرابع، وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله، ويسألونه في رفع الوباء عنهم، فصام أكثر الناس، ونام الناس في الجامع، وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه، خرج الناس من كل فج عميق إلى الصحراء، واليهود، والنصارى، والسامرة، والشيوخ، والعجائز، والصبيان، والفقراء، والأمراء، والكبراء، والقضاة، من بعد صلاة الصبح، فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جدًّا، وكان يومًا مشهودًا»[١].

وقال المؤرخ ابن تَغْري بَرْدي في وصف حال الناس في طاعون ووباء سنة ٨٣٣: «واستسلم كلّ أحد للموت وطابت نفسه لذلك، وقد أوصى وتاب وأناب ورجع عن أشياءَ كثيرةٍ، وصار غالب الشّباب في يد كلّ واحد منهم سُبحة، وليس له دأبٌ إلا التوجهُ للمصلّاة للصلاة على الأموات، وأداء الخَمْس، والبكاء، والتوجّه إلى الله تعالى، والتخشّع»[٢].

---

(١) البداية والنهاية (١٨/٥٠٤).

(٢) النجوم الزاهرة (١٤/٣٤١).

٢- الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار:.

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَزِعًا يَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ فَصَلَّىٰ بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ وَقَالَ: «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»(١).

قال ابن حجر: «وفيه أن من نابَهُ أمرٌ مهمٌّ من الكرب، ينبغي له أن يفزع إلىٰ الصلاة»(٢).

ثم إن اللهج بالدعاء والاستغفار عند وقوع الكروب والخطوب الجسام، مما أكد عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وخصوصًا الأذكار والأدعية النبوية التي تقال من أجل تحصين الإنسان من الأضرار وسيء الأمراض(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف في المسجد (١٠٥٩) (٢/٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة ح٢٤ - (٩١٢) (٢/٦٢٨).

(٢) فتح الباري (٦/٣٩٤)، وانظر: عمدة القاري (١٥/٢٥٠).

(٣) وخير ما يستعان به في هذا كتاب «الأذكار» للإمام النووي.

وانظر: الدليل الشرعي للتعامل مع فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩)، إصدار مركز الأزهر العالمي للفتوىٰ الإلكترونية (ص٣٩).

قال العيني: «ويفزعون إلىٰ ذكر الله والصلاة والصدقة، لأن ذلك مما يدفع الله به البلاء»[١].

بيد أننا نؤكد أنه في حالة الأوبئة المعدية يلزم أن يكون الدعاء لكل إنسان في خاصة أمره، بعيدًا عن التجمعات والاختلاط منعًا لانتقال العدوىٰ، وتفشي الوباء.

وهاك كلامًا نفيسًا للحافظ ابن حجر يمنعُ فيه الاجتماعَ للدعاء في زمن الوباء؛ قال: «وأما الاجتماعُ له -كما في الاستسقاءِ- فبدعةٌ حدثت في الطاعون الكبير سنة (٧٤٩) بدمشق، فقد قرأتُ في(جزء المنبجي) بعد إنكاره علىٰ جمع الناس في موضع، قال: فصاروا يدعون ويصرخون صراخًا عاليًا، وذلك في سنة (٧٦٤) لما وقع الطاعون بدمشق، فَذَكَرَ أن ذلك حدث سنة (٧٤٩) وخرج الناسُ إلىٰ الصحراء ومعظمُ أكابرِ البلدِ فدعَوا واستغاثوا، فعَظُمَ الطاعونُ بعد ذلك وكَثُرَ، وكان قبلَ دعائِهم أخفَّ.

قلتُ [والقائل ابن حجر]: ووقع هذا في زماننا حين وقع أوَّلُ الطاعونِ بالقاهرة في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخِر سنة (٨٣٣)، فكان عددُ من يموتُ بها دون الأربعين، فخرجوا إلىٰ الصحراء في الرابع من جمادىٰ الأولىٰ بعد أن نودي فيهم بصيام ثلاثة أيامٍ كما في الاستسقاء، واجتمعوا ودعَوا

---

(١) عمدة القاري (٧/٨٩).

وأقاموا ساعةً ثم رجعوا، فما انسلخ الشهر حتىٰ صار عددُ من يموتُ في كل يومٍ بالقاهرة فوقَ الألف ثم تزايد.

ووقع الاستفتاء عن ذلك، فأفتىٰ بعض الناس بمشروعية ذلك واستند إلىٰ العمومات الواردة في الدعاء، واستند آخرُ إلىٰ أنه وقع في زمن الملك المؤيد وأجدىٰ ذلك، وحضره جمعٌ من العلماء فما أنكروه.

وأفتىٰ جماعة من العلماء بأن ترك ذلك أولىٰ؛ لما يُخشىٰ به من الفتنة إثباتًا ونفيًا؛ لأنه إن أجدىٰ لم يأمن خطر الدعوىٰ، وإن لم يُجدِ لم يأمن سوء الظن بالعلماء والصلحاء والدعاء.

ونحوتُ هذا النحو في جوابي، وأضفت إلىٰ ذلك: أنه لو كان مشروعًا فِعلُهم ما خفيَ علىٰ السلف، ثم علىٰ فقهاء الأمصار وأتباعِهم في الأعصارِ الماضية، فلمْ يبلغْنا في ذلك خبرٌ ولا أثرٌ عن المحدِّثين، ولا فرعٌ مسطورٌ عن أحدٍ من الفقهاء، وألفاظُ الدعاءِ وصفاتُ الداعي لها خواصٌّ وأسرارٌ، يختص بها في الشرع كلُّ حادثٍ بما يليق به، والمعتَمَدُ في ذلك الاتِّباع، ولا مَدْخَلَ للقياسِ في ذلك»[١].

---

(١) بذل الماعون (ص٣٢٨، ٣٢٩).

ثم قال: «وكنت امتنعت من الخروج في هذه المرة الأخيرة، ولا حضرت صحبة الملك المؤيد في تلك المرة مع اختصاصي به، لهذا المعنىٰ الذي أشرت إليه. وقد وقع ما تخيلته من الأمرين معًا في المرة الأولىٰ، وفي المرة الثانية، وقيل ما قيل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(١).

٣- الإكثار من الصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ﷺ:

عدَّد الحافظ السخاوي الأوقاتَ المخصوصةَ التي يستحب فيها الصلاةُ والسلام علىٰ سيدنا محمد ﷺ فأوصلها إلىٰ اثنين وسبعين موضعًا؛ منها: الصلاة عليه ﷺ عند الهم والشدائد والكرب(٢).

فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٣٠).

(٢) القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع (ص٤٣٤).

فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»(١).

٤- رفع الحالة المعنوية للمريض:

في الوقت الذي رأينا فيه مسئولين كبارًا في كثير من الدول الغربية، يخاطبون شعوبهم للاستعداد لفقد أحبتهم بسبب جائحة كورونا، مما انبنى عليه خلقُ حالة من الهلع والذعر بين الناس، نتج عنها – كما هو مقرر طبيا – ضعف المناعة لدى الخائفين.

نجد تعاليم الإسلام قد وفرت حُزمة من الإجراءات المعنوية للمريض نستطيع من خلالها بث الأمل والتفاؤل، والتغلب على

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الزهد، باب منه (٢١٨/٤) (ح ٢٤٥٧)، وقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه: عبد بن حميد في مسنده (المنتخب ١٧٠)، وأحمد في مسنده (ح ٢١٢٤٢) (١٦٦/٣٥) مختصرا، والبيهقي في شعب الإيمان (ح ١٤٧٧) (١٣٨/٣)، بلفظ: «إذا ذهب ربع الليل»؛ جميعهم من طريق: سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، فذكره.

وحسنه شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري (١٦٨/١١)، وتوسع في ذكر طرقه وألفاظه وشواهدِه الحافظُ السخاوي في القول البديع (٢٦٠- ٢٦٣).

حالة الإحباط التي ربما تصيبه نتجة لمرضه.

ومن هذه الإجراءات المعنوية: التأكيدُ على الإيمان بالقدر والإذعان له، مما يُدخل على المريض الإحساسَ بالأمان النفسي، والشعورَ بالراحة والطمأنينة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

قال القرطبي: «يعني: إن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليمُ لأمر الله، والرضا بما قدّره الله تعالى، والإعراضُ عن الالتفات لما مضى وفات. فإنَّه إذا فكر فيما فاته من ذلك وقال: لو أني فعلت كذا لكان كذا، جاءته وساوس الشيطان، ولا تزال به حتى تفضي به إلى الخسران؛ لتعارض توهم التدبير سابق المقادير، وهذا هو عمل الشيطان الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: (فلا تقل: لو، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ح٣٤ - (٢٦٦٤) (٤/ ٢٠٥٢)..

ولا يُفهَم من هذا: أنَّه لا يجوز النطق بـ (لو) مطلقا؛ إذ قد نطق بها النبي ﷺ... لأنَّ محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت في معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلافُ المقدور، فأمَّا لو أخبر بالمانع على جهة أن تتعلق به فائدة في المستقبل، فلا يختلف في جواز إطلاقه؛ إذ ليس في ذلك فتحٌ لعمل الشيطان، ولا شيء يفضي إلى ممنوع، ولا حرام، والله تعالى أعلم»[١].

ومن هذه الإجراءات: الحثُّ على عيادة المريض وزيارته وتعهُّده؛ قال ابن حجر: «ويلتحق بعيادة المريض: تعهدُه، وتفقدُ أحواله، والتلطفُ به، وربما كان ذلك في العادة سببًا لوجود نشاطه وانتعاشِ قوته»[٢].

وبهذا نرى تعاليم السنة قد وفرت للمريض في كل وقت، وخصوصا أوقات عموم الأوبئة، حُزمةً من الإجراءات النفسية، التي تعمل على حمايته معنويا، مما يساعد في ازدياد المناعة ومقاومة المرض، وكل ذلك بقدر الله تعالى.

(١) المفهم (٦/٦٨٣).
(٢) فتح الباري (١٠/١١٣).

٥- التكافل الاجتماعي عن طريق الإنفاق في سبيل الله:

إن «الإسلام دين التعاطف والمواساة، دين المودة والمحبة، دين الترابط بين الأغنياء والفقراء، دين التكافل الاجتماعي، دين تقعُ فيه مسئولية الجائعين على جيرانهم الأغنياء، فلا يدخل الجنة مع السابقين من بات شبعان وجاره جائع، دين فرض للفقراء حقًّا في مال الأغنياء؛ حيث يقول جل شأنه: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: ٢٤ - ٢٧]»(١).

فجاءت تعاليم السنة المشرفة ضافيةً في هذه الجوانب كلها، حاضةً عليها، بغضّ الطرْف عن غنىٰ الإنسان وفقره، فكلٌّ يجود علىٰ حسَب قدره ومن زاد زاد الله له؛ فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»(٢).

قال الإمام النووي: «هذا فيه الحث علىٰ المواساة في الطعام، وأنه وإن كان قليلًا حصلت منه الكفاية المقصودة، ووقعت فيه بركةٌ

---

(١) فتح المنعم (٨/ ٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك ح١٧٩ - (٢٠٥٩) (٣/ ١٦٣٠).

تعُمُّ الحاضرين عليه، والله أعلم»[١].

ويتأكد التكافل والمواساة بالإنفاق في وقت الشدة والأزمات؛ والسنة ضافيةٌ بالنماذج الباهرة في هذه الجوانب، ولعل أعظم لون من ألوان التكافل في تاريخ الإنسانية كلها هو ما كان بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة، بعد الهجرة إليها، ومع ذلك سأكتفي هنا بذكر نموذجين سواه:

النموذج الأول: تكافل الأشعريين:

فقد مدح الرسول ﷺ (الأشعريين)، بقوله: «فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»؛ لما كان بينهم من التعاون والتضامن والتكافل، في حالة قلةِ الطعام والزاد؛ إذ كانوا يجمعون ما عندهم في إناء واحد، ويقتسمونه بالسوية.

فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[٢].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: الشركة في الطعام والنهد والعروض (٢٤٨٦) (٣/١٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، ح١٦٧ - (٢٥٠٠) (٤/١٩٤٤).

و«أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ» أي: فني زادهم، وفي هذا الحديث: فضيلة الإيثار والمواساة[(١)]، وإنما مدحَهم ﷺ؛ لأنهم ساوَوا بين الفقير والغني، وكثيرِ الزاد وقليله[(٢)].

وقوله ﷺ: «فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» معناه المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالىٰ[(٣)]. وقيل: المراد فعلوا فِعلي في المواساة[(٤)].

النموذج الثاني: تجهيز جيش العُسْرة:

جيش العُسرة في غزوة تبوك التي كانت في شهر رجب من سنة تسع؛ وسمي جيشَ العُسرة؛ لأن المسلمين خرجوا في قلة من الظَّهر، وفي عُسرة من الماء والنفقة، وفي حَرٍّ شديد، حتىٰ كانوا ينحرون البعير، فيشربون ما في كرشه من الماء.

وقد ضرب المسلمون أروع ألوان التضحية والبذل، وتكاثر الراغبون في الجهاد علىٰ رسول الله ﷺ يبغون الظّهر والنفقة حتىٰ لم يبق لديه شيء[(٥)].

---

(١) انظر: فتح الباري (٥/ ١٣٠)، عمدة القاري (١٣/ ٤٤).

(٢) الكوثر الجاري إلىٰ رياض أحاديث البخاري (٥/ ١٥٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ٢٦).

(٤) عمدة القاري (١٣/ ٤٤).

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢/ ٤٩٦).

ومن هؤلاء الذين كان لهم القِدْحُ المُعَلَّىٰ في تجهيز هذا الجيش والإنفاق في ذلك الوقت العصيب هو سيدنا عثمان رضي الله عنه؛ فقد «جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ، حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» يُرَدِّدُهَا مِرَارًا[1].

٦- تحريم الاحتكار وخصوصًا في أوقات الشدة وأزمنة الوباء:

في الوقت الذي حث الشرع الشريف فيه على التكافل الاجتماعي عن طريق الإنفاق في سبيل الله: جعل الاحتكار أمرًا محرمًا؛ لقوله ﷺ: «لا يَحتكِرُ إلّا خَاطِئٌ»[2]؛ في كل زمان ومكان، ويشتد الإثم ويتعاظم الذنب عندما يقدم بعض الناس على الاحتكار في زمن الأوبئة من أجل تحقيق

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح٢٠٦٣٠) (٢٣١/٣٤)، والترمذي في سننه (ح٣٧٠١) (٦٧/٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (ح٦٢٨١) (٢٣٥/٦)، والحاكم في المستدرك (ح٤٥٥٣) (١١٠/٣)، من طرق عن: ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير، مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة، فذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وهو إسناد حسن؛ فإن رجاله جميعًا ثقات؛ إلا كثيرًا مولى عبد الرحمن بن سمرة فقد قال عنه الذهبي: وثق. الكاشف (١٤٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، ح١٣٠ - (١٦٠٥) (١٢٢٨/٣)، من حديث: معمر بن عبد الله رضي الله عنه.

المكاسب؛ لأنه يشدد الخناق ويضاعف الكرب على الناس.

من أجل هذا كان احتكار الأقوات والمستلزمات الطبية وكل ما تمس الحاجة إليه: أشدَّ تحريمًا من احتكارها في أوقات الرخاء والأمن؛ لما فيه من أكلٍ لأموال الناس بالباطل، وإرهاقٍ للعباد وإذلالهم وإخضاعهم، وإثارةٍ للذعر والقلق بسبب نقص السلع، وبعث الشقاق والتقاطع، واستغلال حاجة المحتاج.

٧- التوسل إلى الله بالعمل الصالح في وقت الشدائد والأزمات:

إن من لطف الله تعالى بعباده وجميل إحسانه إليهم: أن كَثّر لهم طرق الخير وسهل أسبابها؛ ولهذا أمر الله تعالى المسلم بفعل الخير مهما أمكنه؛ فقال تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧].

وسبل الخيرات واسعة، وطرق الأعمال الصالحة كثيرة؛ بحيث إن نبينا الكريم ﷺ جعل مجرد التبسم والبِشْر عملا صالحا؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[١].

قال النووي: «فيه الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قلَّ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ح١٤٤ - (٢٦٢٦) (٤/٢٠٢٦).

حتىٰ طلاقة الوجه عند اللقاء»[١].

وجعل من العمل الصالح أيضًا: أن «تكفَّ شرك عن الناس، وتمسكَ لسانك وجوارحك عن الأذىٰ، فتحسن بذلك إلىٰ نفسك، وتحميها من السيئات والآثام؛ قاصدًا سلامة الناس من ذلك، لامتثال أمر الله تعالىٰ بذلك»[٢].

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[٣].

فلما كان ذلك كذلك: ندب الشرع الشريف التوسلَ إلىٰ الله تعالىٰ بالعمل الصالح خاصة في وقت الشدائد والأزمات؛ ليكون بابًا من أبواب الفرج واليسر، كما في قصة أصحاب الغار.

---

(١) المنهاج (١٦/١٧٧).

(٢) فتح المنعم (١/٢٦٨)، وانظر: دليل الفالحين (٢/٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، ح١٣٦ - (٨٤) (١/٨٩).

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَىٰ فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَىٰ بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَىٰ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَىٰ بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّىٰ أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّىٰ آتِيَهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَىٰ عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ»[١].

قال الإمام النووي: «استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعوَ في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره، بصالح عمله، ويتوسل إلىٰ الله تعالىٰ به؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرِض الثناء عليهم وجميلِ فضائلهم»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحرث والمزارعة، باب: إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم (ح ٢٣٣٣) (٣/١٠٥)، ومسلم في صحيحه - واللفظ له - كتاب: الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ح١٠٠ - (٢٧٤٣) (٤/٢٠٩٩).

(٢) المنهاج (١٧/٥٦).

٨- قراءة كتب الحديث وخصوصًا الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري:

ومن الأعمال الصالحة التي توارثتها الأمة جيلًا من وراء جيل عند الشدائد قراءة كتب الحديث وخاصة صحيح البخاري؛ وإليك بعضَ نصوصِ العلماء في أن ذلك من أسباب رفع البلاء والشدة:

قال الحافظ ابن كثير: «وكتابه الصحيح: يُستسقى بقراءته الغَمام، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام»(١).

وقال أيضًا وهو يصف أحداث الطاعون العام سنة ٧٤٩ :«وقرئ (البخاري) في ربعة يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة، وحضر القضاة، وجماعة من الناس، وقرأت بعد ذلك المقرئون، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد... وشرع الخطيب في القنوت في سائر الصلوات، والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة، وحصل للناس بذلك خضوع، وخشوع، وتضرع، وإنابة»(٢).

وقال الحافظ تاج الدين السبكي: «وأما الجامع الصحيح: وكونُه ملجأً للمعضِلات، ومجرَّبًا لقضاء الحوائج: فأمرٌ مشهور، ولو اندفعنا في ذكر

---

(١) البداية والنهاية (٥٢٧/١٤).

(٢) البداية والنهاية (٥٠٣/١٨).

تفصيل ذلك وما اتفق فيه لطال الشرح»[١].

وقال شيخ الاسلام ابن حجر: «وإذا تقرر ذلك فليقابَلْ هذا التفضيلُ بجهة أخرىٰ من وجوه التفضيل غير ما يرجع إلىٰ نفس الصحيح؛ وهي ما ذكره الإمام القدوة أبو محمد ابن جمرة في اختصاره للبخاري، قال: قال لي من لقيتُه من العارفين عمن لقي من السادة المقر لهم بالفضل: أن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرق»[٢].

وقال شيخ الاسلام أيضًا: «فندب القاضي برهان الدين بن الميلق جماعة لقراءة البخاري بالجامع الأزهر، ودعَوا الله عقب ختمه برفع الوباء، ثم اجتمعوا يوم الجمعة بالجامع الحاكمي ففعلوا مثل ذلك، ثم اجتمعوا أكثر من عددهم الأول فاستغاثوا بالجامع الأزهر، وكان وقتًا عظيمًا فارتفع الوباء في ثاني جمادىٰ الآخرة بعد أن بلغ [الموت بسبب الوباء] في كل يوم ثلاث مئة نفس»[٣].

وقال الحافظان الذهبي وابن السبكي: «وقال أبو علي الغساني الحافظ: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي، قدم علينا بلنسية عام ٤٦٤ قال: قحَط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام،

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/٢٣٤).

(٢) هدي الساري (ص: ١١).

(٣) إنباء الغُمر (١/٣٥٤).

فاستسقى الناس مرارًا، فلم يُسقَوا، فأتى رجلٌ صالح معروفٌ بالصلاح إلى قاضي سمرقند فقال له: إني رأيت رأيا أعرضه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرجَ الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وقبره بخَرْتنك، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا. قال: فقال القاضي: نِعْم ما رأيت.

فخرج القاضي والناس معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزيرٍ أقامَ الناس من أجله بخَرْتنك سبعةَ أيام أو نحوها، لا يستطيع أحدٌ الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال»[1].

وقال المؤرخ ابن تَغْري بَرْدي في وصف الطاعون العام سنة ٧٤٩ «واستمرّت قراءة البخاريّ بالجامع الأزهر وغيره عدّة أيام، والناس يدعون إلى الله تعالى ويقنتون في صلواتهم... واستعدّ الناس جميعًا وأكثروا من الصّدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة»[2].

وقال العلامة المباركَفوري: «أجاز كثيرٌ من أهلِ العلم في هذا الزمانِ قراءةَ صحيح البخاري وختمَه؛ لشفاء الأمراض، ودفعِ المصائب، وحصولِ المقاصد».

---

(١) السير (٤٦٩/١٢)، تاريخ الإسلام (١٦٤/٦)، طبقات الشافعية (٢٣٤/٢).
(٢) النجوم الزاهرة (٢٠٥/١٠).

ونقل عن الشيخ عبد الحق الدِّهْلوي قولَه: «قرأ كثيرٌ من المشائخ والعُلماءِ الثقاتِ صحيحَ البخاري؛ لحصول المرادات، وكفاية المهمات، وقضاءِ الحاجات، ودفعِ البليّات، وكشفِ الكُربات، وشفاءِ المرضىٰ، وعند المضائق والشدائد، فحصل مرادُهم، وفازوا بمقاصدهم، ووجدوه كالتِّرياق مجربًا، وقد بلغ هذا المعنىٰ عند علماء الحديث مرتبةَ الشهرة والاستفاضة»[1].

ويجب التنبهُ هنا - بعد عرض هذه النصوص - إلىٰ شيء مهم جدًّا:

وهو أنه - كما سبق في الدعاء - لا يجوز الاجتماع في زمن الوباء المعدي لقراءة صحيح البخاري أو غيره، وإنما إذا أراد الناس إحياءَ هذه السنّة التي سنها علماء الإسلام في أوقات الشدائد والبلاء: فعليهم في زمن الوباء أن يقرأوا متفرقين غير مجتمعين؛ كلٌّ في خاصة أمره.

ولا مانع من اجتماعهم عن بُعد؛ وذلك عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، والقراءة (أون لاين)، وقد جربت هذا بنفسي؛ ففي وقت وباء كورونا (كوفيد ١٩) مكثت أنا وعشرات من أفاضل أهل العلم نجتمع كلَّ يوم لقراءة صحيح البخاري؛ وذلك عن طريق الإعلان علىٰ صفحات مواقع التواصل الإجتماعي، بتحديد مئة حديث لكل شخص مثلا، وعمل بث مباشر لمن يستطيع ذلك، فختمنا صحيح البخاري عدة مرات بهذه

---

(١) مقدمة تحفة الأحوذي (١/١١٤- ١١٥).

الطريقة، والتي كنا من خلالها نجمع الناس على قراءة أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، ولا شك أن ذلك عمل صالح يحبه الله ورسوله، لا سيما في وقت البلاء والوباء، ومثل هذا العمل قمينٌ أن يدخل في دائرة ما ندب الشارع إليه من التوسل بالأعمال الصالحة.

سائلين الله سبحانه أن يرفع عنا الوباء والبلاء، وصل اللهم وسلم على أمير الأنبياء، وعلى آله وأصحابه الأئمة النجباء

وكان الفراغ منه في ليلة السادس من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤١هـ، الموافق التاسع والعشرين من شهر أبريل سنة ٢٠٢٠م.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

خلصت في النهاية إلى عدد من النتائج، أهمها:

١- أن وباء فيروس كورونا المستجدّ (كوفيد ١٩) ليس أمرًا جديدًا تاريخيًّا، فظهور الأوبئة أمر موجود عبر التاريخ.

٢- أن وجود الأوبئة يكون من الله سبحانه رحمةً للمؤمنين، وعذابًا على غيرهم، ويكون فرصةً مناسبةً لتُفيق المجتمعات الإنسانية من طغيانها المادي.

٣- أن الإسلام يقرر ثبوت العدوى في الحسيات والمعنويات، وكل ذلك بتقدير الله سبحانه وتعالى، وأما ما جاء من أحاديثَ نبوية في هذا الباب ظاهرها التعارض: فقد وفق المحدثون بينها بوجوه متنوعة من الجمع.

٤- أن تعاليم السنة المطهرة في باب التعامل مع الأوبئة ومواجهتها، تبلورت حول مسلكين وسبيلين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر.

٥- المسلك الأول: الجانب المادي؛ وهو مسلك الطب (الوقائي

والعلاجي)، والأخذ بالأسباب. والمسلك الآخر: الجانب الروحي؛ وهو الدعاء، والاستغفار، والأوبة إلى الباري سبحانه وتعالى، والإكثار من العمل الصالح.

٦- اتضح بما لا مزيدَ عليه عظمةُ هذا الشرع الشريف، ومحافظتُه على النفس البشرية، وسبقُه كلَّ النظم الحديثة في ذلك، فإن أغلب إرشادات منظمة الصحة العالمية في ظل أزمة وباء فيروس كورونا المستجدّ (كوفيد ١٩): وجدنا لها أصولًا فيما بين أيدينا من التعاليم في السنة النبوية المشرفة.

٧- وختاما: فإن البحث يوصي الحكومات والمسئولين في بلادنا المسلمة بالاهتمام بأمور البحث العلمي، واستحداث نظم الأوقاف القديمة في صور تتلائم مع العصر، للإنفاق على البحث العلمي من خلالها حتى نستطيع مواءمة متطلباتنا البحثية بما يناسب موروثنا الحضاري الكبير.

المصادر والمراجع

- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لأبي الحسن علي بن بَلَبان (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس القسطلاني، (ت:٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، السابعة، ١٣٢٣هـ.

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: د.يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

- ألف اختراع واختراع وحقيقة مدهشة عن الحضارة الإسلامية، إصدار: ناشيونال جيوجرافيك، ط: دار نهضة مصر للنشر.

- إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ) تحقيق : د/محمد عبد المعيد خان، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد شاكر (ت:

١٣٧٧هـ)، ط: دار التراث، ١٤٢٣- ٢٠٠٣م.

- البداية والنهاية، لعماد الدين ابن كثير (ت: ٧٧٤)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط: هجر للطباعة والنشر، الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

- بذل الماعون في فضل الطاعون، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر، ط: دار العاصمة، الرياض.

- بوابة الأهرام الإلكترونية.

- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لأبي الحسن ابن القطان (ت: ٦٢٨هـ)، تحقيق: د.الحسين آيت سعيد، ط: دار طيبة، الرياض، الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥)، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط: مطبعة حكومة الكويت، الثانية، ١٤٠٧- ١٩٨٧م.

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، الأولى، ٢٠٠٣ م.

- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)،

ط: المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق، الثانية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

– تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

– تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار المنهاج، جدة، الأولى، ٢٠١٦م.

– الترغيب والترهيب، لزكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ.

– تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تحقيق : محمد عوامة، ط: دار الرشيد، الثالثة، ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

– تهذيب التهذيب، لابن بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) اعتناء: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

– توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري، (ت: ١٣٣٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار السلام، القاهرة، الثانية،

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- الجامع الكبير = سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (ت : ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للبيطار الميداني الدمشقي (ت: ١٣٣٥هـ)، حققه: محمد بهجة البيطار، ط: دار صادر، بيروت، الثانية، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م.

- الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد، إعداد: اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني، ط: بيت الحكمة للاستثمارات الثقافية الطبعة الأولى، ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م.

- الدليل الشرعي للتعامل مع فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩)، إصدار مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية، الأولى، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ =

١٩٩٤م.

- سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

- سنن ابن ماجه، تحقيق: مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: دار الرسالة العالمية، الأولى،١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

- سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

- السنن الكبرى، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنات، الثالثة، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣م.

- السنن الكبرى، للنسائي (ت٣٠٣)، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، ط:مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.

- سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله الذَهَبي (ت ٧٤٨)، تحقيق: مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م.

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبو شَهبة (ت:

١٤٠٣هـ)، ط: دار القلم، دمشق، الثامنة، ١٤٢٧هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، ط: دار ابن كثير دمشق، بيروت، الأولى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

- شرح السنة، للبغوي (ت٥١٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

- شرح صحيح البخاري، لابن بطال (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الثانية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

- شرح معاني الآثار، للطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، ط: عالم الكتب، الأولى ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤م.

- شعب الإيمان، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ط: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الأولى، ١٤٢٣ هـ =٢٠٠٣م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي (ت: ٨٢١هـ)،

ط: دار الفكر، دمشق، الأولى ، ١٩٨٧م.

- صحيح البخاري = الجامع المسند المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦)، تحقيق وتصحيح ومراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وقصي محب الدين الخطيب ط: المطبعة السلفية ومكتبتها الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت:٢٦١)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صحيفة الشرق اللبنانية.

- صحيفة الوطن المصرية.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (ت ٩٠٢)، ط: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤١٣هـ.

- العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية.

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي (ت: ١٢٣٧هـ)، ط: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

- علوم الحديث = مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، ط: دار الفكر، سوريا، الحادية والعشرون، ١٤٣٦- ٢٠١٥م.

- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، للعيني (ت: ٨٥٥هـ)، صححه: عبد الله محمود عمر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

- فتاوى العلماء حول فيروس كورونا، للدكتور مسعود صبري، ط: دار البشير للثقافة والعلوم، أبو ظبي، الأولى، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (ت ٩٠٢)، تحقيق: عبد الكريم الخضير، ط: دار المنهاج، الرياض، الرابعة، ١٤٣٦هـ.

- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين، ط: دار الشروق، الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي (ت ٩٠٢)، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار المنهاج، جدة.

- الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الأولى، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م.

- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني (ت: ٨٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

- مجلة الأزهر، يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في غرة كل شهر هجري.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، لليافعي.

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- المسند، لأحمد بن حنبل (ت٢٠٤) ،المحقق : شعيب الأرنؤوط

وآخرون ط: مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

- مسند أبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث، دمشق، الأولى، ١٤٠٤ — ١٩٨٤م.

- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، للقاري (١٠١٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار السلام، القاهرة، الأولى، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

- المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني (ت٣٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين، القاهرة. ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني (ت٣٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية، الثانية، ١٤٠٤ — ١٩٨٣م.

- المنتخب من مسند عبد بن حميد، للكَسّي (ت: ٢٤٩هـ)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط: مكتبة السنة، القاهرة، الأولى، ١٤٠٨هـ.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢م.

- المنتقى شرح الموطا، لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، ط: مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى، ١٣٣٢هـ.

- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، لزكريا بن محمد الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ)، تحقيق: سليمان العازمي، ط: مكتبة الرشد ناشرون، الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية، ١٣٩٢هـ.

- معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ط: دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥م.

- المهيأ في كشف أسرار الموطأ، للكماخي (ت: ١١٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: أحمد علي، ط: دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لتقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ.

- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية (ar.wikipedia.org/wiki).

- الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية (www.who.int/ar).

- الموقع الرسمي لرئاسة مجلس الوزراء المصري.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط:

دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر، تحقيق: نور الدين عتر، ط: دار البصائر، الأولى، ٢٠١١م

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (ت: ٨٧٤هـ)، ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر العَيْدَرُوس (ت: ١٠٣٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

- هدي الساري، لابن حجر العسقلاني، حققه: محب الدين الخطيب، ط: دار الريان للتراث، الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد محمد أبو شهبة، ط: مكتبة السنة.

الفهرس

المقدمة...٣

المبحث الأول: التعريف بوباء فيروس كورونا وآثاره.....................٧

المبحث الثاني: لمحة عن أشهر الأوبئة في تاريخنا.......................٢٠

المبحث الثالث: أحاديث إثبات العدوىٰ ونفيها..........................٥٠

المبحث الرابع: كيفية مواجهة السنة المشرفة الأوبئة المرضية...............٦١

الخاتمة...١١٢

المصادر والمراجع...١١٦

الفهرس...١٢٧